سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (38) | 10 / 6 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

فورين بوليسي: الثورة على أعتاب دمشق

رجح العضو في المجلس الأوروبي جوليان بارنيز داسي خلال تجواله ومقابلاته مع سكان دمشق، أن تكون الثورة قد اقتربت أخيرا من أعتاب العاصمة التي كانت تنعم بالهدوء قبل شهرين، وقدم الكثير من الدلائل والمؤشرات التي تعزز ما ذهب إليه.

وعلق بارنيز داسي -الذي يعمل صحفيا أيضا- في مقاله بمجلة فورين بوليسي على مجزرة القبير التي جاءت بعد مجزرة الحولة، قائلا إذا ثبت أن الجيش السوري ومليشياته هم الذين ارتكبوها، فإن ذلك سيكون صدى قاتما للمجزرة البشعة في الحولة التي راح فيها أكثر من مائة.

ويرى الكاتب أن العالم يسلط أنظاره على المجازر في القرى ولكنه لا يلتفت إلى ما وصفه بالتدهور في سلطة الرئيس بشار الأسد في عقر داره، وقال إن العاصمة التي كانت تبدو محصنة من الاضطرابات في مختلف أرجاء البلاد بدأت تنقلب شيئا فشيئا على النظام، وإن اتساع دائرة الاضطرابات في قلب العاصمة باتت مسألة وقت فقط.

مؤشرات

فمن المؤشرات المهمة -من وجهة نظر كاتب المقال- إقدام قوات الأمن في وسط دمشق الأسبوع الماضي على تفريق تجمع من المتظاهرين السلميين في نهاية شارع الحمرا الذي لا يبعد سوى مئات الأمتار عن البرلمان، باستخدام العيارات النارية، ضمن حملة وصفها بارنيز داسي بأنها تصعيد للقوة من قبل أجهزة الأمن التي كانت تقيد نفسها باستخدام العصي ضد المتظاهرين في المدينة.

ويشير بارنيز داسي إلى أن غياب الاحتجاجات الحقيقية والعنف، ووجود المقاهي والمطاعم المزدحمة واستمرار الناس في حياتهم الطبيعية، كانت تخدم رواية النظام عن الاستقرار.

وخلافا للأحياء الفقيرة في العاصمة التي تأثرت كثيرا على مدى عقود من الزمن بسبب الفساد والوحشية والتحرر الاقتصادي غير المنظم، فإن هؤلاء الذين يعيشون في الوسط انتفعوا من النظام على مدى العقد الماضي، ولم ينقلبوا عليه بأعداد كبيرة، وهي الشريحة التي توصف بالأغلبية الصامتة التي وقفت إلى جانب النظام رغبة في الاحتفاظ بمكانتها الاقتصادية المتميزة، وخشية من العنف والفوضى التي قد تلي سقوط الأسد.

ويستخلص الكاتب أيضا من خلال حواراته مع معارفه في سوريا ورجال الأعمال وأصحاب المحلات والمهنيين من الطبقة الوسطى وسائقي سيارات الأجرة، بأن المزاج العام انقلب على النظام خلال الشهرين المنصرمين. فقد قال له أحد أصدقائه "لا تُخدع بالمقاهي والمطاعم"، وتحدث عن مدينة غدت على شفير عداء متزايد للنظام.

كما تحدث رجل آخر من الطبقة الوسطى عن عدم كفاءة النظام واستعداده لدفع البلاد نحو حرب أهلية من أجل الاحتفاظ بالسلطة، وهذا الشعور دفع العديد من هذه الطبقة إلى التخطيط لمغادرة البلاد، وقد تزداد موجة الهجرة مع انتهاء العام الدراسي.

ويقول الكاتب إن هذا "الدعم الأجوف" للنظام في العاصمة -الذي بات جليا للزائرين والسكان على السواء- يوحي بقدوم فجر جديد لمرحلة جديدة من الصراع في سوريا.

إضراب التجار

ومن المؤشرات أيضا قرار تجار دمشق تنفيذ إضراب غير مسبوق خلال الأيام القليلة الماضية، احتجاجا على مجزرة الحولة، وهو ما يشكل "تصعيدا مهما من التحدي الداخلي"، ولا سيما أن الدعوات للإضراب في السابق لم تكن تجد صداها لديهم.

غير أن الكاتب يستدرك بأن ثمة العديد ممن يدعمون النظام في العاصمة -وخاصة في أوساط الأقليات مثل الطائفة العلوية الحاكمة- خشية طردهم من دمشق لاحقا، فالحل بالنسبة لمعظم هؤلاء هو استخدام النظام لمزيد من القوة للإجهاز على "الإرهابيين المدعومين من الخارج".

ولكن التصدع في دعم الحماة السابقين للنظام بات واضحا بشكل متزايد، فقد أسر أحد أعضاء المعارضة في البرلمان -الذي يصفه الثوار بأنه عميل للنظام- للكاتب بأن "النظام يتهاوى، وأن التغيير قادم لا محالة"، وقال "إننا نريد أن نحافظ على الدولة ولكن نتخلص من النظام".

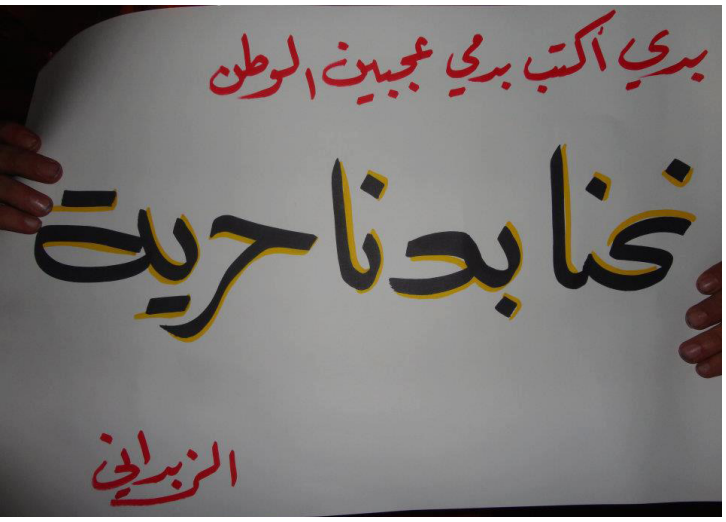

ويؤيد ذلك المراقبون الأجانب الذين يعتقدون بأن النظام في طريقه للانهيار. وقال دبلوماسي إن "كل واحد هنا، حتى عمال النظافة، يؤكدون بأن بشار لم يعد القوة الدافعة للبلاد".

ويشير المقال إلى أن الديناميكية المتغيرة لم تطرأ بسبب الدعم المتزايد للمعارضة، بل بسبب الشعور بأن النظام لم يعد قادرا على الإيفاء بالوعود الأساسية المتمثلة في توفير الأمن والاستقرار داخل العاصمة، فتفشت الجريمة بكل أنواعها من الخطف والاغتصاب في عاصمة كانت تعد من أكثر عواصم الشرق الأوسط أمنا.

كما أن الاحتجاجات المناهضة للنظام بدأت تمتد إلى قلب العاصمة بعد أن كانت تقتصر على الأحياء البعيدة منها، فانتشرت في الميدان وكفر سوسة اللذين لا يبعدان سوى دقائق عن قلب العاصمة.

مثقفون يناشدون العالم لإنقاذ التراث والهُوية السورية

ناشدت مجموعة من الكتاب والمثقفين والفنانين والصحفيين السوريين والمهتمين بالشأن التاريخي والحضاري من المشاركين في التظاهرة الفنية السورية "وطن يتفتح في الحرية" ضمير المجتمع الدولي من أجل حماية الآثار والتراث السوري من السلب والنهب والتدمير، واستغاثوا بالضمائر الحية في مختلف أرجاء المعمورة لإنقاذ التراث والهُوية السورية التي تتعرض إلى عملية تدمير ممنهجة بحسب البيان الذي جاء فيه: استمرارًا لنهج التخريب والنهب للآثار والتراث السوري الذي درج عليه المسؤولون والمتنفذون في السلطة السورية منذ تسلمهم الحكم، تتعرض المواقع والمباني الأثرية السورية إلى أعمال تخريب وتهريب وتدمير وقصف ممنهج ازدادت وتيرتها منذ انطلاق الثورة السورية في الخامس عشر من آذار من العام2011. كما يعاني تراث سوريا وآثارها المحفوظة في المتاحف من خطر النهب المنظم وذلك بسبب ضعف الرقابة التي أدت إلى سرقة عدد من القطع الأثرية من داخل المتاحف الأثرية في وضح النهار، إضافة إلى عمليات الحفر السري في المواقع والتلال الأثرية وتهريب كنوز سوريا التاريخية.

وبناءً على ما تقدم ذكره، فإن مجموعة الآثار السورية في خطر. والمشاركون في تظاهرة وطن يفتتح في الحرية (من الكتّاب والمثقفين والفنانين والصحفيين السوريين والمهتمين بالشأن التاريخي والحضاري)، يناشدون ضمير المجتمع الدولي ويؤكدون أن الوقت قد حان لمؤسساته المعنيّة لكي تتولى مسؤوليتها، بتأمين الحماية اللازمة للمواقع والمباني والمتاحف التي تشكل تراثًا إنسانيًا عالميًا وسوريًا يمس الهُوية الوطنية. نناشد المنظمات العالمية ممثلة باليونسكو، اتحاد الآثاريين العرب، الدرع الأزرق، الإيكروم، المتاحف العربية والعالمية، الجامعات العربية والعالمية ومدارسها ومعاهدها الأثرية، بالوقوف بحزم بوجه هذه الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الإرث الحضاري السوري، وذلك بإيجاد آليات ردع للسلطات السورية من أجل القيام بالتزاماتها بحماية الآثار ووقف التعديات السافرة من قصف المواقع والمباني التاريخية- وحفر بالآليات الثقيلة – وتحويل العديد من التلال والقلاع إلى ثكنات عسكرية. كما نناشد حكومات الدول المجاورة لسوريا بالقيام باتخاذ كافة الخطوات التي من شأنها أن تحدّ من تهريب الآثار السورية ومن تفاقم الأزمة التي يتعرض لها الإرث الحضاري الإنساني في سوريا. ونعلن كل المناطق التالية مناطق حضارية منكوبة ومنها:

1 - المدن الميتة (أو المنسية مثل البارة، سرجيلا، دير سنبل..) في محافظة إدلب والمسجلة على لائحة التراث العالمي – اليونسكو في العام2011.

2 - القلاع الأثرية وعلى رأسها قلعة المضيق التي تم تدمير أجزاء كبيرة منها من خلال عمليات القصف المباشر، ومنطقة أفاميا الأثرية التي تتعرض لعمليات حفر سري ونهب منظم لأثار هذا الموقع المسجل على لائحة التراث العالمي في العام 1999 – اليونسكو.

3 - مدينة تدمر الأثرية، والمسجلة على لائحة التراث العالمي – اليونسكو في العام 1980.

4 - التلال الأثرية، وعلى رأسها: تل خان شيخون، تل قرقور، تل آفس، تل الشيخ حمد، تل الأشعري، وتل حمو كار.

5 - دور العبادة، وبخاصة جوامع وكنائس حمص التاريخية والجوامع العمرية في محافظة درعا.

6 - الأحياء القديمة في مدينتي حمص وحماة، حيث تعرض قسم كبير من البيوت والأسواق والجوامع والكنائس التاريخية للقصف المباشر من قبل قوات الجيش السوري النظامي.

7 - تعاني المقتنيات الأثرية في المتاحف السورية من خطر السرقة وذلك بسبب ضعف الرقابة والضياع بسبب غياب عمليات الجرد والتوثيق لهذا التراث المنقول الذي يعاني عدم التوثيق المُتحفي لكافة القطع، وبالتالي فإنه سيكون من المستحيل تتبع أثر هذه المقتنيات في حال تعرضت للسرقة.

افتتاح مدرسة جديدة لليسوعيّين في حمص

مَن يجرؤ على مباشرة مشروع في مدينة صارت ساحة حرب؟ «نحن نجرؤ» يقول الآباء اليسوعيّون.

«نريد أن نساهم في بناء مستقبل سوريا من خلال تعليم الأولاد من مختلف الطوائف». شهادة رائعة ملؤها الأمل.

لا يزال الوجود اليسوعيّ مستمرّاً في حمص على الرغم من المعارك الدامية التي تجري في منطقة أحد أديارهم هناك. وحيث إنّ الرهبنة اليسوعيّة تملك مركزين هامّين والتنقل بينهما صار خطرًا، توزّع الآباء العمل بين بستان الديوان، المنطقة الساخنة، والعديّة، وهي منطقة هادئة.

المنطقة الساخنة شبه مهجورة، والفقراء الذين ظلّوا فيها بقوا في دائرة الخطر، لأنّهم لا يملكون مالا لاستئجار بيت في مكان آخر، ولا أقارب يستضيفونهم لفترة. يعلم الله وحده متى ستنتهي. ليس لهؤلاء الفقراء سوى الله وملائكته، والملائكة ليسوا أرواحًا دومًا، بل منهم بشر أرادوا أن يبقوا مع الناس في محنتهم من أجل خدمتهم، منهم يسوعيّون، ظلّوا مع البقيّة الباقية، يشاركونهم محنتهم ويبثّوا فيهم الرجاء ويحيوا في قلوبهم الأمل.

في المنطقة الهادئة، إن جاز لنا التعبير، يعاني السكان عوزًا ماديًا وفكريًا. المادّي معروف، وهو توقف الأشغال والمصالح. أمّا الفكريّ فهو إغلاق المدارس وفاقة في عدد المدرّسين بسبب خطورة التنقّل من منطقة إلى أخرى. وحيث إنّ العلم نور والجهل ظلام، ارتأى الفريق العامل في دير المخلّص هناك، التابع للرهبنة اليسوعيّة، فتح مدرسة غير رسميّة كي لا ينقطع الجيل الصاعد عن العلم والمعرفة. إنّها مدرسة معجزيّة، لأنّ أولاد الأطراف المتناحرة يأتون إلى المكان نفسه، يدرسون معًا، يلعبون معًا، يغنّون معًا، على أمل أن يبنوا معًا مستقبلاً أفضل. يقول اليسوعيّ العامل في هذه المدرسة:

«لقد سادت عقول الناس الأحكام المسبقة. الأشخاص منغلقون على أنفسهم، وما من تواصل مع أشخاص من خارج الطائفة... نحن نسعى إلى تشجيع الحوار الأفقيّ بين الأشخاص، حوار يجعل كلّ طرف يعرف الطرف الآخر ويفهمه. ونؤمن بأنّنا نستطيع بهذه الوسيلة أن نبني مستقبل هذا البلد».

لقد أدّت الاشتباكات إلى تهجير السكان وإقفال المدارس. لم يعد الأطفال ينشغلون بالدرس بل صاروا سجناء منازلهم يشاهدون التلفزيون أو يستمعون إلى تفاهات الكبار.

يعمل في هذه المدرسة حوالي ثلاثين شابًا وفتاة من حملة الشهادات الجامعيّة بإشراف الراهبات، ويدفع الآباء لهم أجورًا مقابل خدماتهم النظاميّة، والصفوف هي غرف الدير، والعمل يتمّ تحت اسم: «المركز التربويّ ليسوع المخلّص». ويرتاد المدرسة حوالي خمسين طفلاً، والطلب يتزايد، ولكن ضيق المكان يعيق قبول كلّ الطلبات. فالعمل اليسوعيّ لا يريد الكمّ على حساب النوع، لأنّ النوع، نوعيّة التعليم والتربية المعطاة، تثمر في المستقبل بمقدار أوفر، وتنشئة مجموعات محدودة عدديًا هي أسهل وأعمق وأنجع من إعطاء دروس لحشود من الأطفال. فالعدد القليل يساعد المعلّم على متابعة تقدّم كلّ طالب من طلابه وبشكل شخصيّ.

«لا نميّز بين مسيحيّ أو علويّ أو سنيّ، كلّهم متساوون. معيارنا الوحيد هو جديّة استعداد الأهل للتعاون معنا في عمليّة تنشئة أولادهم».

المدرسة اليسوعيّة بحمص، أو المركز التربويّ في دير المخلّص، شهادة أكثر منها رسالة. شهادة على أنّ الرجاء أقوى من اليأس، وثقافة الحياة أصدق من ثقافة الموت، وعلى أنّ الكلمة الأخيرة، مهما بلغ فساد بني البشر، هي للمحبّة، لأنّ الله محبّة.

المؤتمر التأسيسي لمنظومة وطن

ناشطون سوريون يطلقون مشروعاً لخدمة المجتمع المدني

أعلنت مجموعة من الناشطين إطلاق مؤسسة "وطن" وهي منظمة مؤسسات مجتمع مدني غير ربحية متعددة المسارات، تعمل لإحداث نهضة شاملة في المجتمع السوري، وتقوم على هذه المؤسسات كوادر سورية متخصصة. وهي مؤسسة تعمل على استقطاب السوريين بكافة انتماءاتهم العرقية والدينية والقومية لبناء مستقبل ونهضة سوريا.

يأتي إنشاء هذه المؤسسة لتفعيل العمل المؤسسي للناشطين في الخارج ويقدمها للداخل السوري في إطار مهني ومحترف وأكثر مصداقية.

تتألف المؤسسة من مجموعة من المؤسسات متعددة المسارات: إنسانية وتطويرية وإعلامية وستبدأ هذه المؤسسات عملها من خارج سوريا في الوقت الراهن لتنتقل بعد سقوط النظام للعمل على الأراضي السورية لتساهم في بناء سوريا الجديدة.

وفي منتصف الشهر الجاري الموافق 6-14 2012- سيجري انطلاق أعمال المؤتمر التأسيسي لـ "وطن" في مدينة اسطنبول التركية ليتم اختيار مدراء تنفيذيين لمؤسساتها المختلفة وتفعيل برامج التدريب المختلفة لكوادرها.

تتكون مؤسسة "وطن" من ثماني مؤسسات متخصصة:

مؤسسة سيان: المختصة بتدريب وتطوير الناشطين السوريين في مختلف مجالات العمل المجتمعي والخيري للارتقاء بعملهم عبر التدريب والتأهيل وتوفير البيئة الملائمة للإبداع.

مؤسسة "جيل الحرية": المتخصصة في رعاية النشئ من سن 7 إلى 17 سنة، وتعمل على تطويرهم وتأهيلهم وتدريبهم على مهارات الحياة، وتنمية مفهوم الحرية وتعزيز مشاعر الانتماء الوطني لسوريا.

مؤسسة سوريا الخيرية "خير": متخصصة بالعمل الخيري لخدمة السوريين، وتهدف إلى إدخال ثقافة العمل الخيري المحترف وإنشاء وتشغيل مؤسسة خيرية عالمية معتمدة من المؤسسات والمنظمات العالمية المعنية بالإغاثة وتطوير العمل الخيري الإنساني بعيداً عن الصبغات المذهبية والعرقية والحزبية.

المركز السوري للحريات "حريات": متخصص بمجال حقوق الإنسان، ونصرة المواطن السوري، ويهدف إلى نشر ثقافة حقوق الإنسان وتعزيز مبادئها وقيمها، والتعريف بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهود والمواثيق الدولية الأخرى ذات الصلة، والدفاع عن حقوق الإنسان في سوريا وحرياته الأساسية.

المركز السوري للدراسات: مركز متخصص بالأبحاث والدراسات التي تخدم النهضة، وتطور المجتمع السوري، ويهدف إلى تفعيل الخبرات والطاقات الفكرية السورية للنهوض بسوريا من جديد لمصاف الدول الأكثر تقدما.

النادي السوري للأعمال: يعمل على تجميع رواد الأعمال والمهنيين السوريين، للارتقاء بالعمل المهني السوري، ويهدف إلى توفير دليل مهني عن الوظائف المتاحة للجالية السورية بحسب تواجدهم الجغرافي وإنشاء علاقات مع أرباب العمل والاستفادة منها في تأمين فرص عمل للشباب.

المركز السوري الوطني للإعلام: مؤسسة إعلامية تعمل على تجميع وتحرير ونشر الأخبار التي تخص الشأن السوري، وتهم المواطن السوري خاصة، والعربي عامة، والتعاون مع وكالات الأنباء ومحطة التلفزة العالمية لنقل صورة حقيقية وإيجابية عن سوريا.

المؤسسة السورية للدعم والإسناد: تعمل على دعم الحراك الثوري، إنسانياً، ومالياً، ولوجستيا، وتهدف إلى تفعيل دور الكوادر المهجرة وتوظيفها في مشاريع الثورة المختلفة.

ويأتي إطلاق المؤسسة بمؤسساتها الإغاثية المختلفة ليؤدي دوراً هاماً في متابعة شؤون اللاجئين السوريين في الداخل والخارج والحد من معاناتهم نتيجة عدم الانتظام في تقديم المساعدات والغياب الواضح لدور المنظمات الإنسانية والطبية العالمية في تقديم العون لهم.

أوجاع وطن

يشبهون قدّاساً لم يعثر على كنيسته
يشبهون حياةً لم تعد في المتناول
أفترض الآن أن أطفال الحولة نائمون
أفترض أنهم يحلمون فحسب!

■ عقل العويط

كنتُ أفترض أنهم نائمون. أنهم نائمون فحسب. وأنهم لن يلبثوا أن يعودوا من نومهم هذا، ليبدأوا الحياة من جديد. لكن الصباح كان قد مضى إلى أعماله، وهم لم يكونوا قد أفلتوا مما ظننتُه كسل الغفلة. شيءٌ ما – ولا بدّ – كان يجعلهم يواصلون الإيغال في صمتهم، ويحول بينهم وبين النهار.

لم أستطع أن أفترض احتمالاً آخر، ليقيني أن الأطفال عادةً، هم الذين يوقظون الصباح. لم أشأ بالأحرى أن أفسح لاحتمال آخر. للغرق في النهر، للنسيان الأعمى، للوجع الوجودي مثلاً، بسبب خشيتي مما يمكن أن تفضي إليه احتمالات كهذه، إذا أغلقت الغابة أبوابها. قلتُ، فلأتذرّع بأن أحلاماً نزقة تشغلهم عن فجاجة الشمس، وبأن طفولاتهم ستظل تختزع حكايات ليست في الحسبان، ولأجل ذلك هم متأخرون عن هذا الصباح.

كنتُ قد ذهبتُ إلى هناك لأنضمّ إلى سهر الرفاق، لأطرد النوم عن أرواحهم المتعبة، لأضمّد أفكاراً وأشعاراً كان قد تسنّى للحالمين للمفكرين للشعراء أن يكتبوها تحت سكّين الليل، لكني لم أعرف كيف أضمّد عينيّ، عندما رأيتُ أحلام أفكارهم ونظراتهم المسروقة.

قلتُ، إلى أين يهرعون في مثل هذا الوقت المتأخر، وهل يدور في خلدهم أن الأمهات قد يقلقن إذا تركوا، أكثر فأكثر، ظلال أشجارهم بدون عطورها وأحلامها؟! أتراهم لم ينتبهوا إلى مرور أيديهنّ للسؤال عنهم؟! أتراهم عثروا على أيقوناتهم فصاروا أيقونات الجروح والحكايات والذكريات؟!

قبل ذاك، كنتُ أقول، فلأهيّئ ماءً يغسلون به أقدامهم الحمقاء، وأرتّب لهم طاولة العشاء، لكي يستقبلوا النعاس والليل كما يليق بياسمين بلادهم أن يعبث، قبل أن يفلت رحيق عطوره من خلف السياج. لكني، حقاً، لم أعثر في الخارج على صنادلهم الخفيفة، ولا على ضحكات تركوها وراء الباب.

كنتُ قد تأخرتُ قليلاً بسبب رعونة الضوء، فعرفتُ في ما بعد أنهم سبقوني إلى الأسرّة الفارغة، لينضمّوا إلى أنين مثاهاتهم العمياء.

عندما وصلتُ إلى حديقة حياتهم، كنتُ قد وجدتهم نياماً خارج الحديقة، مضرّجين بصمتهم وبأرملة حياتي الموحشة.

قلتُ، تبّاً للشعر. تباً لأفكاره وكلماته اليائسة. تبّاً لي، قلتُ أيضاً، أنا جريح قلبي وبلادي، لأني لم أعرف أن أجيء قبل الوقت المسموم، فأمنع الصباح من أن يأكل ليلهم الذي أضحى فريسة.

كنتُ قبل ذاك قد رأيتهم في منامي يمتدحون عطور الياسمين في بلادهم، ويقطفون الهواء الطلق من ألق السهول. تأخذهم شمس الفجر إلى التلال الخفرة، ليفوزوا بالغيوم، ومن هناك يقلّدون العصافير في طيرانها.

لم أرَ جمالاً دامياً كهذا، إلاّ عندما رأيتهم في جمالهم الأبدي. صباحاتهم مأخوذة على حين غرّة. مناماتهم لم أعد أدري أين تهيم ولا أين تحطّ الرحال. كأن النهر الذي يستدرج الظلال إلى أشجار ضفّتيه لم يتمكن من استدراج ظلالهم لتستريح من شيطناتها المتألقة. كأن الغابة قد أغلقت حقاً أبوابها دونهم، فظلوا خارج الغابة.

كانوا ممدّدين كمن يهرقون قمراً لم يلتحق بهم. أو كمن يأخذون قيلولة في غير أوانها.

يشبهون قدّاساً لم يعثر على كنيسته. يشبهون حياةً لم تعد في المتناول.

أفترض الآن أنهم نائمون. أفترض أنهم يحلمون فحسب.

النهار 6 / 6 / 2012

دماء السوريين.. على مذبح أحلام القيصر

قراءة في العلاقات الروسية السورية

■ ياسر مرزوق

عن الشاعر الألباني الكبير " أسعد مكولي " ومن قصيدته "عندما يغني الشهيد" ننقل: آه... أيها الأخ... عانيت الألم لأجلنا... وشاركناك العذاب... لأن دمك بعض دمنا... كافحت وتحملت المحن... من أجلنا جميعاً... من أجل انتصارنا... أصغوا إلي أنا الشهيد... اسمعوا أغنيتي.... التي رددتها للحرية....مهدت بها طريق الأجيال... ارفعوا المشاعل في كل درب... آنذاك ستلتئم جراحي....

ترى هل وصلت آلاف الأغنيات التي صدحت بها أرواح شهدائنا إلى مسامع القيصر، وكيف لها أن تصل وكل قيصر محترفٌ للقتل، أوليس لأعظم القياصرة في التاريخ الروسي لقب " إيفان الرهيب "، أوليس الروس من القتلة الكبار المنتصرين في الحرب العالمية الثانية، والذين حصدوا مقعداً بين الخمسة الكبار الأشد قتلاً...

مع الفيتو الروسي الأول في مجلس الأمن ناقشنا في ملفنا دور مجلس الأمن والأمم المتحدة، في حل النزاعات العالمية واليوم سنناقش العلاقات الروسية السورية، إذ يبدو أن مفتاح الحل في موسكو وأن الترياق الذي سيشفي وطننا من اللعنة في إحدى خزائن القيصر، ولست هنا مع القائلين بأن الفيتو الروسي هو ما يمنع مجلس الأمن من التدخل في سوريا، بل إن الفيتو الروسي أضحى الشماعة التي تعلق عليها أمم الأرض فشلها في نصرة السوريين، وتبرر تقاعسها عن وقف النزيف في الجرح السوري المفتوح... ولتصدق نبوءة مفكرنا "ميشيل كيلو " بأن لا مصلحة لأحد في وجود ديمقراطية حقيقية في سوريا...

* تقف سوريا الآن على شفير الهاوية، والحرب حصانٌ أهوج يأتي على غير انتظار، وينطلق على غير انتظار، وبين مجيء وانطلاق، يحصد أرواح البشر ويلون التاريخ السوري بلون الدم، في ملفنا اليوم نبحث العلاقات الروسية السورية وروسيا وسوريا جناسٌ ناقصٌ في علم اللغة، ليس للدعوة بأن تكف روسيا عن استخدام حق النقض في مجلس الأمن

وتسمح بتدخل عسكري بحسب البند السابع، تدخل سيسقط النظام والوطن معاً، بل هي دعوة لتقف روسيا إلى جانب الشعب السوري ولتعي بأن مصالحها معه وحده وبأن كل ما عداه زائل لا محالة، ولتجمع كل أطراف الأزمة السورية على طاولة للحوار، ما زلت مؤمناً بوجودها لتخرج البلاد من سنوات ظلام مقبلة، فبين معارضة تقرع طبول الحرب وبين نظام يتبرأ رأسه من كل مخالف ويوزع امتيازات الوطنية أو عدمها، ويستمر بحل أمني يصفه بالعملية الجراحية والتي لن تنتهي إلا بوفاة الجسد، يبدو أن الحل انتقل خارج الأرض السورية، وتتوجه الأنظار إلى الحليف التاريخي ليمارس دوره، وليترفع عن استخدام دماء السوريين لاستعادة أمجادٍ مهدورة ولاستعراض قوةٍ تعيدنا إلى زمن حرب باردة أضحى العالم بعدها أشد سخونة...ً فما يروج له الإعلام الرسمي عن حربٍ باردةٍ جديدة يرجع قبل كل شيء إلى أن العقل السياسي العربي لا يزال يتعامل مع موسكو وكأنها عاصمة دولةٍ عظمى لا تقل عن عاصمة الاتحاد السوفيتي شراهة للحفاظ على مراكز ثقلها في العالم. وفق هذا الفهم القديم تبقى الذاكرة العربية وفيّة لمقولات قديمة لم تعد قائمة في الخارطة السياسية العالمية. فعندما طارت المقاتلات الاستراتيجية الروسية من طراز "توبوليف 160" ووصلت إلى فنزويلا لم تُعرْها أميركا أية أهمية لأنها تعرف أن هذه الحركة هي للاستخدام الداخلي لا غير، وأن هذه الطائرات ربما كانت تكمل بهذه الرحلات عمرها الافتراضي لا أكثر. أما الإعلام السوري فقد هلل لها باعتبارها إشارةً إلى عودة التوتر بين روسيا والغرب، وأن المستفيد قبل غيره هو النظام، متناسين أن التناقضات بين روسيا والغرب قد تراجعت إلى مستواها الوطني منذ أن سقط محتواها الأيديولوجي.

* قبل البدء في استعراض تاريخ العلاقات بين البلدين لابد من الإشارة إلى أن التناغم بين عاصمتي "الممانعة" العربية والعالمية: دمشق وموسكو! ليس حتمياً فلو عاد الغرب وقدّم الضمانات اللازمة لموسكو في ملف الدرع الصاروخية وأغمض عينيه عن المسرح الانتخابي، وسمح لبعض رجال أعمالها، على وجه الإرضاء بأموال الغير، بالحصول على بعض الصفقات في ليبيا؛ ستترك موسكو يومئذٍ نظام الأسد لمصيره الحزين الذي تكلم عنه "ميدفيديف "ذات مرة، لذا فلا ينبغي للأسد أن يطمئن كثيراً كما لا ينبغي للمعارضة السورية أن تجعل من استرضاء موسكو سبباً رئيسياً لنجاحها فالأمور في سوريا لن يحسمها سوى الشارع السوري.. إلا أن الدعوة السابقة لتقدم روسيا حلاً سياسياً لانتقال سلمي للسلطة تأتي من باب الأمل في تخفيف الخسائر التي سيدفعها الشعب السوري ثمن انتصاره..

تاريخ العلاقات الروسي السورية

وضع افتتاح القنصلية الروسية في دمشق في أواخر القرن الثامن عشر بداية للعلاقات الرسمية بين روسيا وسورية. وقامت روسيا بعد مرور 100 سنة بفتح قنصلية لها في ميناء اللاذقية السوري ، وأقيمت العلاقات الدبلوماسية بين روسيا وسوريا في عام 1944 عقب إعلان استقلال سورية. وأصرت موسكو بالرغم من اعتراض بريطانيا وغيرها من الدول الغربية، على إدراج هذا البلد العربي في قائمة الدول المؤسسة لهيئة الأمم المتحدة وقام الاتحاد السوفيتي بصفته عضوا دائما في مجلس الأمن الدولي عام 1946 بتأييد مطلب سوريا بسحب القوات البريطانية والفرنسية من أراضيها.

وفي خمسينات القرن الماضي، اتسمت العلاقات السوفييتية السورية بسمة الوقوف في مواجهة الأحلاف والمعاهدات والارتباطات مع الغرب. وعندما أعلنت تركيا عن مناورات عسكرية على الحدود مع سوريا وحشدت قواتها في أيلول 1957 كان لتصريحات كل من "خروتشوف وغروميكو" وحشد الفرق السوفياتية على الحدود التركية، ورسو وحدتين بحريتين سوفيتيتين في ميناء اللاذقية، دور مهم في ردع جنرالات أنقرة. وبعد تولي حزب البعث السلطة في سوريا توطدت العلاقات السورية – السوفياتية أكثر. ففي عام 1963 أقيم مركز الدعم المادي التقني للأسطول البحري السوفياتي في ميناء طرطوس السوري. وتخلل تلك الفترة زيارة الرئيس السوفياتي "بودغورني" سوريا في الفترة ما بين 1-3 تموز 1967 في عهد

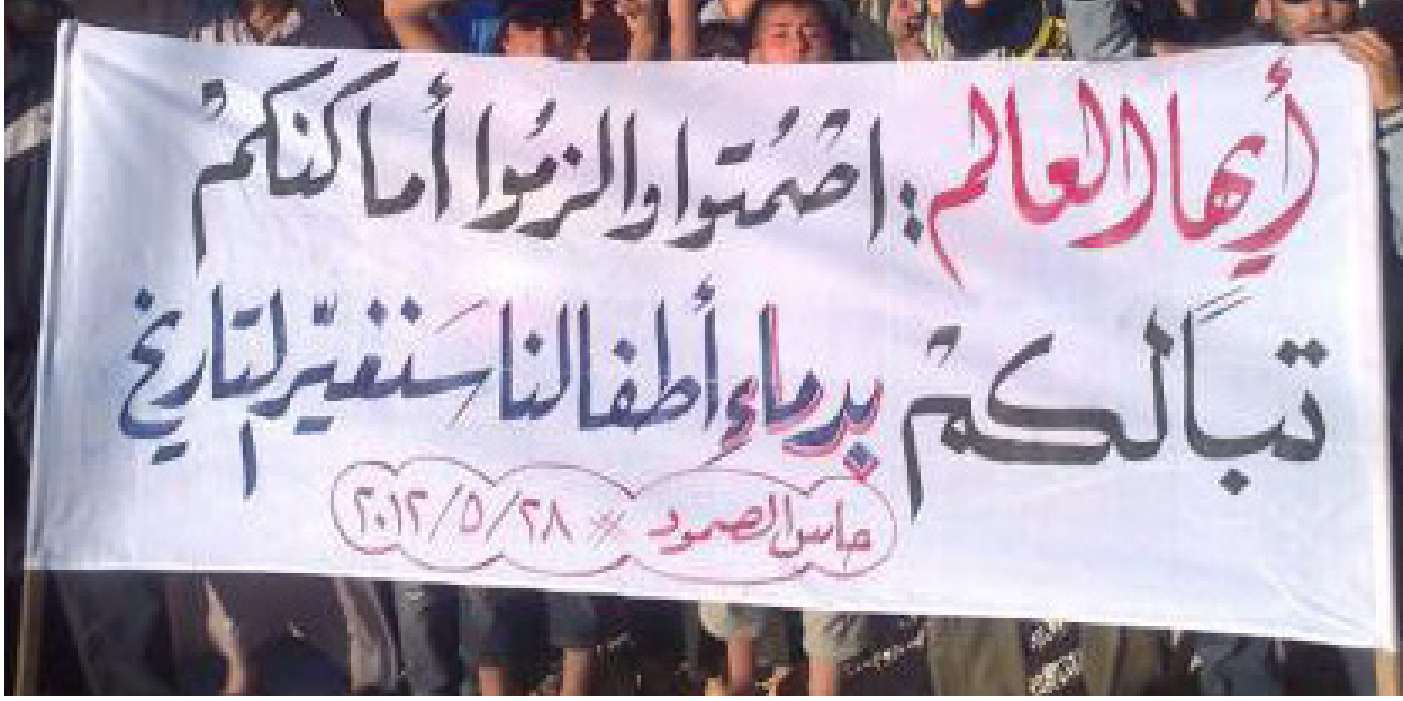

الرئيس "نور الدين الأتاسي". وقبيل حرب 1967 بأيام قليلة زار موسكو رئيس الدولة السوري الدكتور الأتاسي ووزير الخارجية "ماخوس" لطلب الدعم السوفياتي لكن الزيارة لم تكن ناجحة ولم تُوْعَدْ سوريا بأي شيء.

مع استلام الأسد لزمام السلطة في سوريا سعى إلى توطيد العلاقات مع الاتحاد السوفييتي مستفيداً من ظروف الحرب الباردة،وفي 9 تشرين الأول عام 1975 وصل الرئيس حافظ الأسد إلى موسكو للقاء كل الزعماء السوفيات:" الرئيس بودغورني، والأمين العام بريجنيف، ورئيس الوزراء كوسيغين ووزير الخارجية غروميكو ووزير الدفاع غريتشكو" وبحث الوضع الخطير الذي وجد نفسه فيه آنذاك. كان الأسد ممتناً للجسر الجوي الذي أوصل السلاح السوفياتي خلال حرب تشرين في ما لا يقل عن 394 رحلة جوية في الاتجاهين. كما وقف القادة السوفيات في ما أسماه باتريك سيل "حرب الأخوين" في ثمانينات القرن الماضي إلى جانب الرئيس حافظ الأسد، فألقوا بثقلهم خلفه. وأيضا في ما دعاه "حل العقدة" في تلك الحرب، ففي الثامن والعشرين من أيار، وبمساعدة الكرملين، أرسلت طائرة محملة بسبعين من كبار الضباط إلى موسكو، وكان من بينهم "رفعت الأسد" في رحلة اللاعودة

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وفي فترة التسعينيات ألقت مجموعة من الأحداث السياسية والأمنية فضلاً عن المتغيرات الدولية، بظلالها سلباً على هذه العلاقات فمع تفكك الاتحاد السوفيتي وتصدع المعسكر الاشتراكي، شهدت العلاقات السورية ـ الروسية تراجعاً واضحاً، وبات واضحاً أن السياسة الروسية اتجهت للاهتمام بنقطتين أساسيتين هما: المصالح التجارية، النفوذ النفطي. وضمن هذه المرتكزات انطلقت روسيا في علاقاتها مع دول العالم وزال البعد الايديولوجي للعلاقة بين البلدين والذي استفاد منه الأسد بأكبر قدر ممكن.

عام 2005 قام الرئيس السوري بشار الأسد بزيارة لموسكو تحسنت على إثرها العلاقات بين البلدين بشكل كبير، لكن هذا التحسن بقي تحت عنوان أن روسيا ليست الاتحاد السوفييتي وبقي التعاون العسكري مع دمشق هزيلاً خاضعاً لمعادلة التوازن العسكري القائم بين العرب وإسرائيل والذي لا تسمح موسكو لنفسها بأن تخرقه، وعليه فإن معظم طلبات دمشق في السنوات الأخيرة من الأسلحة الروسية المتطورة قوبل بالرفض بسبب تدخلات إسرائيلية وأميركية، " ولابد من التذكير بأن السلاح السوفيتي هو الذي استخدمه العرب في جميع حروبهم، وقد زودهم الاتحاد السوفيتي بهذه الأسلحة وفق القاعدة آنفة الذكر، بحيث لا يهدد وجود اسرائيل وهو أول المعترفين بها عام 1948 " وبقيت الأرقام المتداولة لصفقات السلاح الروسي هزيلة بالنسبة لبلد مثل روسيا له ثالث احتياطي عالمي من العملة الصعبة بما يفوق 500 مليار دولار مما يؤكد أنه من المستبعد أن تكون العلاقات الاقتصادية هي المحرك للموقف الروسي اتجاه دمشق فحجم التبادل التجاري بين البلدين لم يتخطى حدود الخمس مليارات دولار، بينما يصل مع بلدان مثل تركيا مثلاً إلى ثلاثين مليار دولار، إضافة إلى أنه وبالميزان الاقتصادي فإن روسيا هي الخاسر الأكبر إذا تدهورت علاقاتها مع الخليج العربي لحد القطيعة وهذا ما يفسر الدعوة الروسية لمجلس التعاون الخليجي إلى مفاوضات حول سوريا، بمعنى أن روسيا تبحث عن مكاسب توازي مصالحها مع سوريا.

أما قاعدة طرطوس، وهي على أية حال محطة لتصليح السفن أكثر منها قاعدة عسكرية دائمة؛ فهي، كما يردد الروس أنفسهم، ليست بتلك الأهمية التي يمكن أن تحدد موسكو مواقفها على أساسها، ويكفي هنا أن نذكر أن الكرملين نفسه منذ أن وعى أنه لم يعد ثاني اثنين تخلى عن فكرة القواعد الخارجية، وقد رآه العالم وهو ينسحب طواعية من كوبا وفيتنام ويُخلي قواعده العسكرية هناك، مما يجعلنا لا نعول على أهمية هذه القاعدة بالنسبة للروس بالقدر الذي يروج له اعلامياً. كما أن التصريحات التي يطلقها الدبلوماسيون الروس وأصحاب مراكز الضغط بأن "سوريا هي آخر منفذ ونقطة تأثير لروسيا في منطقة الشرق الأوسط وأن الصناعة العسكرية الروسية بحاجة إلى السوق السورية ". تأتي في مجال الاستعراض الإعلامي لا أكثر.....

مسيرات التهنئة

ينبغي على السوريين معارضةً وموالاة أن يعوا بأن السياسة هي لعبة المصالح، لا تحكمها الأهواء والانفعالات الطفولية والتي باتت السمة العامة للسياسة السورية خارجيا وإعلاميا، فمن المشاهد المؤلمة التي ظهرت في الأسابيع الأخيرة تجمهر الموالين للنظام على أبواب السفارة الروسية لتهنئة " بوتين " بالفوز في المعركة الرئاسية وكأن موقفه من سوريا هو ما أعاده إلى الكرملين، مظهرين الشماتة بخسارة "ساركوزي " للرئاسة في فرنسا وكأن موقفه من سوريا هو الذي أخرجه من " الإيليزيه " متناسين لحقيقة أن خليفته " أولاند " أشد حزماً وتصلباً اتجاه النظام في سوريا هذه الوقفات غطاها وروج لها الإعلام الموالي للنظام بصفاقة، ولسنا هنا بصدد الوقوف في وجه أي شكل من أشكال التعبير السلمي أياً كان موضوعُه، لكن المؤلم هي حالة الفقر المعرفي التي وصل إليها طيفٌ من شبابنا، فقرٌ في السياسة والتاريخ ومدنية الدولة، متناسين أو جاهلين بأن الفرنسيين يعيشون جمهوريتهم الخامسة، وبأن الروس يعيشون ثمار انقلاب على أعتى الدكتاتوريات، وأن آلية صنع القرار وتبوء المناصب في النظام الديمقراطي أو شبه الديمقراطي تقوم استناداً لآليات قانونية دون شخصنة أو أهواء، ومتناسين أو جاهلين أيضاً بأنهم هم نفسهم من وقفوا منذ أقل من عامين مهللين مصفقين للخليفة العثماني الجديد " رجب طيب أردوغان " مسبلين عليه صفات النبوة تقريباً.. وهو اليوم في نظرهم العدو الأول والعميل الأول ضد النظام الممانع المنزه عن الخطأ، ولا ندّعي هنا وجود ديمقراطية صرفة إلا أن ثقافة " عاش الملك مات الملك " باتت خارج التاريخ، والنظم التي تحكم وفقاً لأهواء ورغبات حكامها باتت خارج التاريخ أيضاً.

أما اليوم فالمعركة الرئاسية الروسية انتهت ودماء السوريين تستخدم على طاولة المفاوضات وروسيا ترفع الثمن، ولا تمتنع عن البيع فالروس وعوا دروس التاريخ جيداً، فبعد خسارتهم للحرب الباردة. والتي خسرها الشيوعيون لضيق الإطار التحليلي الذي تبنوه في تعاملهم مع القضايا الدولية وتعنتهم في مفاصل ليس للتعنت مكانٌ فيها. ومن ذلك أن الكويت فشلت في الانضمام للأمم المتحدة منذ استقلالها في 19 يونيو 1961م حتى 14 مايو 1963م نتيجة استخدام الاتحاد السوفيتي حق النقض "الفيتو"، الذي اعتبر أن استقلال الكويت مؤامرة إمبريالية. في ذلك الوقت كانت أصداء ثورة "مصدق" على الشاه في إيران تتردد في الخليج العربي، وثقافة اليسار أو ما يقاربها بدأت تنتشر في البحرين وعمان والسعودية، إلا أن ضيق الإطار التحليلي الذي تبنته موسكو لمجمل قضايا المنطقة في حينه أدى إلى أن مكاسبها البخسة نظير استقلال الكويت انحصرت في الستينيات بافتتاح سفارة لها وسفارات لدول الكتلة الشرقية، حيث كانت جل أعمال سفارات بولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا هي إصدار فيزا لسياحة المراهقين من الشبان الباحثين عن اللهو الرخيص في السبعينيات، في حين قفزت الكويت في القارب الرأسمالي وكانت إحدى قلاع الإسترليني القوية. وأنتهى الاتحاد السوفيتي دون أن يجد منفذاً لمياهٍ دافئة.

يؤكد "د. عمرو الشلقاني" أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة أن الموقف الروسي تجاه الشرق الأوسط وتحديداً سوريا سيتغير وهذا ما يتلمسه جيداً النظام السوري وبوتين يدرك جيداً أن روسيا فقدت شعبيتها تجاه الشعوب العربية ولذلك يرى أن عليه اتخاذ قرارات تعيد الثقة في روسيا التي دائماً تكون حليفة للموقف العربي في وقت الأزمات موضحًا أن التغير في الموقف الروسي تجاه الأزمة السورية سوف تتضح معالمه في الأيام القليلة المقبلة وسيحاول بوتين أن يضغط وبقوة على بشار الأسد لإجراء انتخابات الرئاسة السورية مبكراً وإلا سيكون التدخل العسكري لقوات حلف الناتو هو البديل لأن بوتين كان يستخدم ورقة الفيتو في مجلس الأمن للدعاية الانتخابية الشعبية وإظهار قوة روسيا في الوقوف ضد الغول الغربي الأمريكي وليس للحفاظ على صديقه بشار الأسد وهذا ما أوجد التفافا شعبيا حول بوتين وطالما نجح في الفوز بالرئاسة والحفاظ على سلطته سوف يعيد تقييم الأداء الروسي مرة أخرى للحفاظ على العلاقات الروسية العربية.

في النهاية يتوجب علينا التأكيد بأن السياسات الخارجية لن تتبدل إلا بمقدار ما تفرضه الثورة الشعبية فرضاً من وقائع على أرض الواقع ترغم صانعي القرار خارج الوطن على التعامل معها، فالسوريون اليوم أشد إصراراً على نسج الملاحم للخروج من أزمنة المرارة التي لن تذهب دون أن تترك آثارها كالجدري في الضمير العميق للشعوب...والخروج من هذه الأزمنة أمسى قاب قوسين أو أدنى مادام ساكن القصر يأكل من لحمه وهو يحسب أنه يأكل من لحم الآخرين، وهو يريد الشعب كالكورس له، يصوغه على منهج " هايدلبرغ " تلك المدينة الألمانية التي تطفأ الأنوار فيها مرةً في السنة وتوجه الكشافات إلى قلعتها العالية، وبصوتٍ واحد ينبعث من كل شوارع المدينة ونوافذها وساحاتها نشيدٌ واحد... نشيد القلعة الخالدة، مع أن ساكن القصر يعلم أكثر من غيره أن زمن النشيد الواحد قد ولى، وأضحى ورقة منسية في السجل الكبير.....

أختم اليوم مع أبياتٍ من رباعيات الخيام

لو كان لي كالله في فلك يد
لم أبق للأفلاك من آثار
وخلقت أفلاكاً تدور مكانها
وتسير حسب مشيئة الأحرار

الوطـــــن أولاً

■ خالد كنفاني

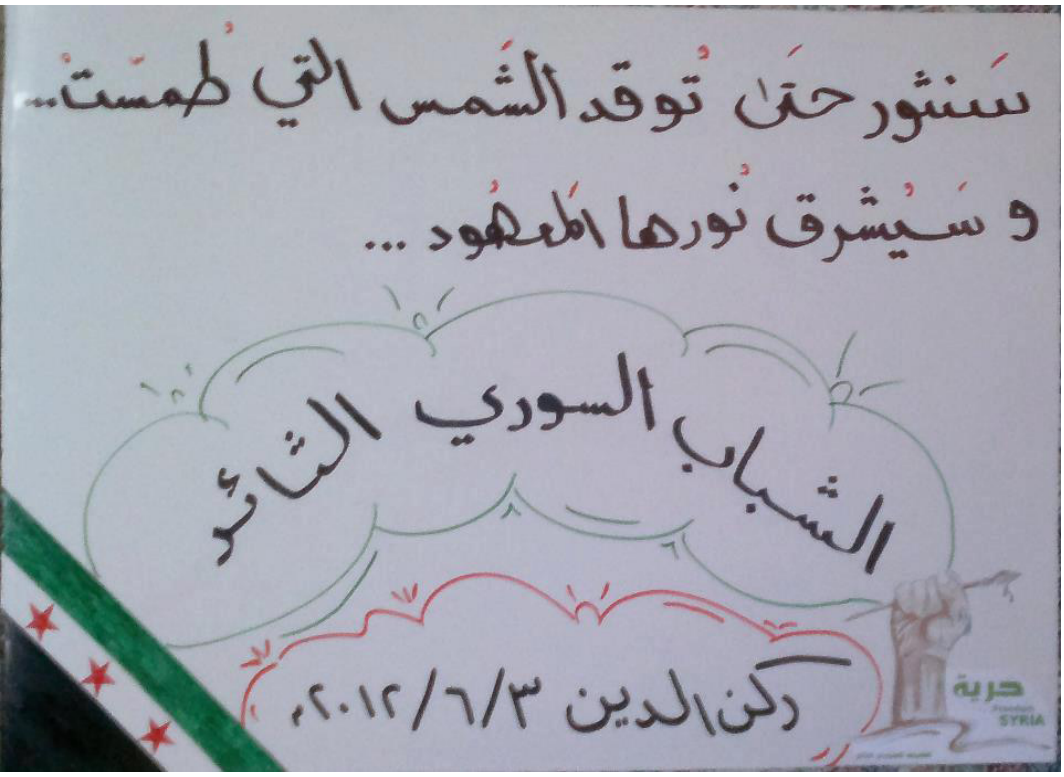

"لـن تركـع أمـة قائدهـا حافظ الأسـد"، كانت هذه العبارة منتشرة علـى معظم جدران المدن السـورية لتزيـد فـي تشـويهها وتخريـب الصورة الجماليـة في عقول وأذهان المواطنيـن. كان السـوري يقـرأ هـذه العبـارة بينمـا يقف لسـاعات في انتظـار قطعة لحـم أو كيلو من السكر. لم يعبأ قط بمسألة المقارنة أو المحاكمـة المنطقيـة، فالأمر كان خارج أية حسابات أو منطق إنساني. إذا لـم يكـن كل هذا ركوعـاً ومذلة، فما الركوع إذاً؟

كان كل شـيء مباحاً في سـبيل القائد، حتى أن أحد المنافقين الكبار والذي سقط اسـمه من ذاكرتي كما سـقط هو في مزبلـة التاريخ، كتب في حملته الانتخابيـة: "اللّه، القائد، الوطن"! وقد كان كريماً على ما يبدو بالاحتفـاظ للّه بالمركز الاول، ولكن القناعة الحقيقية لديه أن القائد أهم من كل الآلهة، كما يقول نزار قباني: "فـي بلادي... يسـبّ المـرء اللّه ولا يسبّ الحكومة".

كانت الشـعارات وكتـب التربية الوطنيـة والقوميـة تتحـدث عـن الوطـن والوطنيـة وتشـتم العمالة والخيانـة، بينما يتماهـى الوطن مع القائـد ويصبح هـذا مـن ذاك وذاك من هـذا. وهكذا أصبـح لدينا مكتبة الأسد، وضاحية الأسد، وجسر الأسد، ودمشق الأسـد، وحتى سوريا الأسد. قال لويـس الرابع عشـر: "أنا الدولة والدولة أنا"، وقال أبو جعفر المنصور: "إنمـا أنـا سـلطان اللّه فـي أرضه"، وقـال عثمان بن عفان: "ما كنت أخلع سـربالاً سـربلنيه اللّه"، وقرر الملك عبـد العزيـز أن يسـمي بلـداً كاملاً باسم عائلته "السـعودية". إنه تراث الديكتاتوريـة إذاً، وإذ تخلصت أوروبا من هـذا التراث السـيء فـإن العرب اليوم يخوضون ربيعاً عربياً للتخلص من الديكتاتوريات والأنظمة ومقولة: "إمـا أنا أو الفوضـى"، أو "إما أنا أو لا أحد". إن شـباب الربيـع العربي اليوم لم يعـد يخيفهم مسـؤول أو صاحب مركـز، كل مـا يطلبونـه أن يكـون الجميع سواسـية أمام القانون وأمام الوطن.

نعود إلى وطننا الجريح سـوريا. هذا الوطن الـذي عانى ما لم يعانيه أحد (ربما يتسـاوى معـه العراق) من ديكتاتورية وظلم وسـحق للمشاعر والكرامـة الإنسـانية، كان السـوري يمـوت يوميـاً مـن مئـات المشـاكل ومظاهر الفسـاد والترهل الحكومي بينمـا يمـنّ عليـه حكامه بمسـألة الأمن وهو أمر لا ننكـره، ولكن وراء هـذا الأمـن الظاهري كان عشـرات الآلاف يقبعـون في معتقلات لا يعلم عناوينهـا حتى بعض من أنشـؤوها لشـدة ظلامها وقسـوة بردها. يخرج السـوريون اليـوم ليقولـوا مسـألة واحـدة: "الوطـن أولاً"، وليقولـوا: "الوطن أو لا أحد". أما القائد والرئيس فهو إنسـان مثـل الجميـع وعليه أن يفهـم أنـه زائل سـواء اقتنـع أم لم يقتنـع، أما الوطن فهو باق، بقي في الماضي وسيبقى للمستقبل.

وحتى نكون واقعيين، فإن مسار هـذه الثورة يتعـرض اليـوم للكثير مـن الهـزات والضغوطـات داخليـاً وخارجيـاً، وهنـا يبـرز دور الثقافـة الوطنيـة والسياسـية. فمـن أطلقوا على أنفسـهم لقب رموز المعارضة السـورية وبالأخص في الخارج باتوا يتصارعـون على كراسـي ومناصب فارغة دون أي محتوى وهم لا يزالون فـي الخـارج. فـي كثير مـن الأحيان أتأمل فيما يفعله هؤلاء الآن وأتساءل عن شكل سوريا القادمة. حتى تاريخ اليـوم لم يسـتطع المجلس الوطني تقديـم كشـف علنـي بالملاييـن التـي تصله من دول وأطـراف دولية ناهيـك عن كشـف بالمصروفات. إن من يدعـون محاربـة الفسـاد اليوم يمارسونه وفقاً لصلاحيات لم يعطها لهـم أحـد. إن الشـرعية الثوريـة لا تشرع الفساد واستغلال المال العام. لقد أصبحت ثورة سوريا باباً للتسول بالنسبة لكثيرين وهم لذلك لا توجد لهم مصلحة فـي نهاية الأزمة وهذا واضح.

أين الوطن أولاً في كل تصرفات غالبيـة المعارضيـن وخاصـة فـي الخارج؟ وأين الوطن أولاً في السـلاح الـذي يتدفـق علـى الجميـع (نظـام ومعارضـة) مـن أجـل إشـعال فتيل الحـرب الأهليـة التـي يحـذر منها الجميع صباح مساء؟ بات من المحتم أن القضـاء علـى سـوريا ومقدراتها هـو هـدف اسـتراتيجي، وأنـا أؤكد هنـا على سـوريا حتـى لا يفهم أحد المتربصين بالكلمـات أننا ندافع عن النظام ونظرياته الكونية الفضائية. إن الشـرعية التي يتم إسبالها اليوم على مسألة تسليح الثورة هي تشريع بعلـو كلمة السـلاح، وهكذا سـمعنا وسنسـمع كثيراً فـي القريب العاجل عشـرات وربمـا مئات مـن الفصائل والكتائـب والفـرق التـي تقـول أنها تحمي المتظاهرين وتحمي الشرعية الثوريـة وأنها سـتلقي السـلاح بعد الأزمة. نفس الجمل التي سـمعناها عقـب كل انقلاب عسـكري في هذا الوطـن ولكننـا فوجئنـا بأننـا صرنا ضحايـا هـذه الحمايـة، ومعتقليـن ومنفيين بتهم معـاداة الثورة وقتلى وشـهداء بذات الأسـلحة التـي كانت تدعي حمايتنا. وتظهر مشكلة خطف الـزوار اللبنانيين حجم الانقسـامات والتفـكك فيمـا بيـن الأطـراف المختلفـة. خـلال أسـبوع واحد دخل على خط هذه الأزمة أكثر من خمسة عشـر طرفاً كل منهم يدعي امتلاك الحقيقـة. وفوجئنـا بـأن المجموعة الخاطفـة انقسـمت علـى نفسـها واقتسـمت المخطوفين أيضـاً، بينما يدعـي أناس من الجيـش الحر وجود اتصـالات وكذلـك الحريـري وحـزب الأحـرار والمخابرات التركيـة ونبيل العربـي ولا نسـتبعد دخـول منظمة أياتـا الانفصاليـة في إسـبانيا على خط المسألة.

كما يأتي إعلان تشـكيل "جبهة ثوار سـوريا" ليضيف علـى الطنبور نغماً ناهيك عن الأحزاب الخلبية التي يجـري تكوينها كانقسـامات لكيانات أكبر قليلاً، وهي تشي بمستقبل غير مطمئـن بالنسـبة لكثيرين. كل هذا يحـدث بينمـا النظام يسـرح ويمرح بدمـاء السـوريين وبينمـا معارضوه يقتتلـون علـى الفتـات ويخوضـون "حروبـا" إعلاميـة وافتراضية جوفاء ودعايـات تلفزيونيـة رخيصة. ولأن الوطـن لـم يكـن أولاً لـدى هـؤلاء فهـم متسـاوون اليـوم مـع النظام بالممارسـة، وتنجـرّ البـلاد إلـى الفوضى الشـاملة القادمة لا محالة، ولن ينفع لا مبادرة عنان ولا السيناريو الليبي ولا النموذج اليوغسـلافي ولا حتى الطريقة الشاذلية!

الجميع في سوريا اليوم يظلمون الوطن مـع كل رصاصة يتم إطلاقها باتجـاه سـوري آخـر. وهـذا الضياع السياسـي والعسكري سـيقود البلد حتماً إلى الهاوية إذا لم يكن قد بلغها فعـلاً. "الوطـن أولاً" يجـب أن يكون نصب أعيننا في كل خياراتنا القادمة، وعلينا أن لا ننبهر بمؤتمرات أصدقاء سـوريا ولا مؤتمرات إعـادة إعمارها، فالوعود لمصـر وتونس وليبيا كانت بكبـر الجبـال وعندمـا حـان موعـد السـداد لم يأبـه بهم أحـد، بل عمد البعض للانتقام من الثورات الجديدة (مصـر نموذجاً). هذه لحظة الحقيقة لـدى السـوريين، فإما أن يعيشـوها وإما فلن يبقى لا الوطن ولا أحد...

آخر الكلام:

يقول الشاعر:

بـلادي وإن جـارت عـليّ عزيزة
أهـلـي وإن ضـنّـوا عـليّ كـرام

الحل في سورية يسير على سكّتين وبوتين يفاوض على المواعيد

■ راغدة درغام

دخلت المناقصة والمقايضة مرحلة حامية في الفترة الأخيرة عبر سكّتين متوازيتين: إحداهما ترتكز إلى تفاهم دولي وإقليمي على عملية انتقالية منظمة في سورية يتنحى بموجبها الرئيس السوري بشار الأسد عن السلطة طوعاً، على نسق النموذج اليمني. والأخرى ذات شقين؛ اقتصادي قوامه تضييق الخناق اقتصادياً على النظام في دمشق عبر قرار لمجلس الأمن إذا كان ذلك ممكناً، وعسكري عبر إقامة تجمع لمجموعة دول أوروبية وغربية بمشاركة أميركية من نوع ما، تمكن من شن عمليات جوية محدودة وفرض حظر جوي إذا أصبح ذلك ضرورياً. السكتان تسيران معاً عبر القارات في اجتماعات ثنائية ومتعددة الأطراف على أعلى المستويات، والجديد فيهما هذا الأسبوع أن روسيا عبّرت علناً عن عدم تمسكها ببقاء الأسد في السلطة، وأن الولايات المتحدة قالت علناً إنها تدرس جميع الخيارات ولم تعد في حالة تردد.

الرئيس الأميركي باراك أوباما منغمس، بطبيعة الحال، بالانتخابات الرئاسية المقبلة في شهر تشرين الثاني (نوفمبر). والإدارة الأميركية أبلغت معظم المعنيين في المنطقة العربية والشرق الأوسط وأوروبا أنها تريد «فاصلاً» أو «نقطة توقف» Pause في الشق المعني بإجراءات على الأرض نحو الحل العسكري إلى ما بعد هذا الموعد، لجهة اتخاذ الإجراء، وليس لجهة الإعداد لاتخاذ الإجراء.

لذلك، يقوم عدد من الدول العربية والأوروبية بالتحضيرات الضرورية لخيار عسكري في حال فشل الحل السياسي على يدي المبعوث الأممي-العربي كوفي أنان، أو على يدي الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. وفرنسا وبريطانيا ودول في أوروبا الشرقية هي ضمن هذه المجموعة التي تضم دولاً خليجية، أبرزها المملكة العربية السعودية وقطر، وكذلك تركيا.

الأردن ليس في صدارة الخيار العسكري، نظراً لهشاشة الوضع الاقتصادي والسياسي المترتب على تدفق اللاجئين السوريين إليه. لذلك، هو ليس في الطوق الأول من الإعدادات العسكرية عبر حدوده إلى سورية. لبنان يقع خارج هذه الإعدادات، بسبب ظروفه الاستثنائية وانقساماته تجاه الشأن السوري. العراق يمر في مرحلة ملفتة، سيما لجهة طرح الثقة بحكومة نوري المالكي وما يترتب على إعادة رسم العلاقة العراقية-الإيرانية في ضوء التطورات الداخلية والإقليمية. والمطلوب من الحدود العراقية-السورية يدخل في خانة الضبط وليس في خانة إنشاء ممرات آمنة أو مناطق حظر طيران. أما العمل الجدي في الإطار العسكري، فإنه عبر البوابة التركية.

تركيا من جهتها، غارقة في العمل على السكّتين، وعينها على اللاعبين الآخرين، بدءاً بالولايات المتحدة وروسيا، مروراً بالدول الخليجية الرئيسية، وكذلك الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وانتهاء بالمعارضة السورية، كما أن الحكومة التركية تأخذ في حسابها الرأي العام في تركيا ومدى استعداده للتدخل العسكري المباشر في سورية.

لذلك، فإن تركيا طرف مباشر في العمل على السكّتين. والنقاش الأميركي-التركي قائم في عدة صيغ وسيناريوهات لكي تضمن أنقرة عدم حدوث تورط تركي انفرادي، ولضمان صيغة ما بمباركة أو بمشاركة حلف شمال الأطلسي (ناتو) الذي تنتمي إليه أنقرة.

من جهة أخرى، يقوم رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان، بالتفاوض مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على تفاصيل العملية الانتقالية السياسية في دمشق انطلاقاً من: متى يتنحى الأسد؟ وماذا سيحدث من الآن حتى تنحيه؟ ومن يضمن خروجاً آمناً له؟ ومَن يضمن صدقية هذا الخروج؟

بوتين يريد أن يكون عرّاب الحل السياسي، ولا أحد يمانع في ذلك، إنما العبرة في التنفيذ، والشيطان في التفاصيل. روسيا تريد عملية انتقالية تحت سيطرتها في سورية يتم ضبطها مع لاعبين إقليميين من ناحية التفاصيل، فيما يتم التفاهم عليها من حيث العناوين الرئيسية عبر «الصفقة الكبرى» Grand barge مع الولايات المتحدة، فروسيا التي لا تثق بأميركا وتعتبر دول مجلس التعاون الخليجي طرفاً منحازاً ضد النظام في دمشق، تدرك أن إيران ليست في وضع يمكنها أن تكون جزءاً من العملية الانتقالية السياسية في سورية، لأنها تعتبر زوال النظام في دمشق ضربة شبه قاضية على ركيزة مهمة من إستراتيجيتها في منطقة الشرق الأوسط. ولكل هذه الأسباب، فإن النقاش جار بين بوتين وأردوغان حول تفاصيل العملية الانتقالية. وأردوغان بدوره مخوّل من المملكة العربية السعودية وينسق مع رئيس الحكومة القطرية حمد بن جاسم في هذا الصدد.

ما يحمله أردوغان إلى الطاولة من تفاصيل يشمل الآتي: تحديد موعد واضح لتنحي بشار الأسد من الآن حتى الخريف، تشكيل حكومة انتقالية فيما يتولى مجلس عسكري رعاية الأمن والعمل نحو الاستقرار، تحديد موعد لانتخابات رئاسية قبل حلول شهر حزيران (يونيو) 2013، كفالة وسيلة ذات صدقية لخروج الأسد.

بوتين يفاوض على المواعيد والتفاصيل، الأسد يقاوم، وهو ما زال يطرح عملية سياسية تقوم على إصلاح النظام (وليس على استبدال النظام)، وعلى حوار مع المعارضة بصفته الرئيس الباقي في السلطة، لذلك يريد مواعيد الانتخابات في عام 2014، طبقاً لمفهوم بات غير مقبول حتى لروسيا.

الإدارة الأميركية من جهتها أبلغت الحكومة الروسية أنها جاهزة للانخراط معها في إيجاد وسيلة سليمة للعملية الانتقالية شرط الإيضاح لدمشق أن زمن إصلاح النظام ولى ولا مناص من عملية انتقالية جدية في سورية.

وراء الموقف الروسي الجديد القائم على «الحل اليمني» عدة أسباب، من بينها أن بوتين لا يستطيع ربط اسمه واسم بلاده بنظام متهم بارتكاب المجازر بصورة منهجية، مهما كانت موسكو راغبة في بقاء النظام. ثم أن تطور الأوضاع الميدانية في سورية وبدء العد العكسي للانتخابات الرئاسية الأميركية يضع روسيا في مقدمة صانعي الحلول بدلاً من بقائها في خانة معطليها.

قرر بوتين أن يكون في صدارة منع انهيار الدولة في سورية وبدأ إستراتيجية قوامها استعداد الغرب ليتقبل مجدداً أولوية الاستقرار على أولوية الديمقراطية. وعليه، يصر بوتين في محادثاته مع أردوغان وغيره على ضرورة وضوح معالم الأطراف البديلة الآتية إلى السلطة في دمشق. بوتين لن يقبل باستيلاء الإخوان المسلمين على السلطة، أن كان ذلك عبر عملية ديمقراطية أو انقلاب عسكري. وهو يجد دعماً في هذا الموقف من شطر كبير من السوريين، بمن في ذلك داخل المعارضة. وهذه النقطة ما زالت من المسائل الشائكة في المباحثات حول العملية الانتقالية في سورية.

روسيا تريد كثيراً في إطار «الصفقة الكبرى»، من ناحية مكانتها الميدانية في منطقة الشرق الأوسط ومكانتها السياسية ونفوذها في مجلس الأمن، كما من ناحية علاقاتها الثنائية مع الولايات المتحدة. بوتين يقدم إلى أوباما اليوم خشبة خلاص في سورية، وهو يرى في هذه الخشبة خلاصاً له من التوغل في مستنقع ليس في صالحه. وهو يدرك أن أوباما لن يتمكن من التورط عسكرياً حالياً في سورية، لكنه أيضاً لن يتمكن من تجاهل المجازر سيما في المرحلة الانتخابية.

ما هو دور تركيا وإيران في العملية الانتقالية في سورية؟ وما هو موقع كل منهما في «الصفقة الكبرى»؟ وهل دور كوفي أنان ينحصر حالياً في شراء الوقت ريثما يتم التفاهم على «الصفقة الكبرى» بين الولايات المتحدة وروسيا والأطراف الإقليمية؟ هذه أسئلة رئيسية وبديهية والأجوبة عليها معقدة نظراً للتداخل والتناقض في الحسابات الدولية والإقليمية.

تركيا ستكون جزءاً من صنع العملية الانتقالية وجزءاً من الصفقة الكبرى. إيران قد تكون جزءاً من الصفقة الكبرى لكنها لن تكون جزءاً من العملية الانتقالية قريباً لأنها في غير مصلحتها.

القيادة التركية فقدت ثقتها بالقيادة الإيرانية وهي ترى أن لا مجال للاستثمار في صدق إيران أو الوثوق بها. لذلك، تلعب دوراً في نزع الثقة وضرب استقرار حكومة المالكي في العراق بهدف تقليص النفوذ الإيراني داخل العراق.

أما في لبنان، فتعي أنقرة أن إستراتيجية النظام السوري تقوم على تصدير الأزمة السورية إلى لبنان، وهي تعتقد أن دمشق تصدّر الإرهاب إلى تركيا وتعمل على تعزيز حزب العمال الكردستاني. ويتردد أن قوات خاصة تقوم بتوفير المساعدة للبنان كي لا يصبح ساحة لحرف الأنظار عن التطورات السورية. ويقول عالمون بالسياسة التركية، إن تركيا لن تقبل بتدهور أو تصعيد الوضع في لبنان بقرار من دمشق، وإن العنصر العسكري سيكون حاضراً جداً إذا تطورت الأمور في هذا الاتجاه.

الأردن أيضاً خائف من تصدير اللااستقرار إليه في إستراتيجية تحويل الأنظار عن سورية، وهو يخشى أن يكون غائباً في بال اللاعبين الإقليميين والدوليين الذين أسرعوا إلى إبلاغ رسائل واضحة حول تحويل لبنان ساحة بديلة للحرب السورية.

إنما الآن، وفي هذه الفترة بالذات، يغلب حديث التفاهمات عبر صفقات دولية على كلام المواجهات العسكرية. ووفق المصادر، العمل جار على صفقة قبل حلول رمضان أواخر الشهر المقبل، وإلا فإن موسم المواجهات الدبلوماسية والسياسية وربما الميدانية سيبدأ في مجلس الأمن مع تأجيل التنفيذ إلى ما بعد الانتخابات الرئاسية الأميركية، ما لم تفرض المجازر موعداً أبكر.

هذا الأسبوع، أثناء انعقاد المنتدى الاقتصادي العالمي في إسطنبول، كان واضحاً أن المسألة السورية لوّنت لوناً آخر ما سمي بـ «الربيع العربي» عندما انطلقت الثورات والانتفاضات العربية. كان واضحاً أن إسطنبول التي تستضيف اليوم الجمعة اجتماعاً فائق الأهمية يحضره وزراء خارجية الولايات المتحدة وروسيا وأوروبا والعرب باتت مدينة البحث في سكتي التفاهم والمواجهة.

الحياة اللندنية 8 / 6 / 2012

بعد «الحولة» و«القبير» .. كيف تنتصر الثورة؟

■ ابن حزم السوري

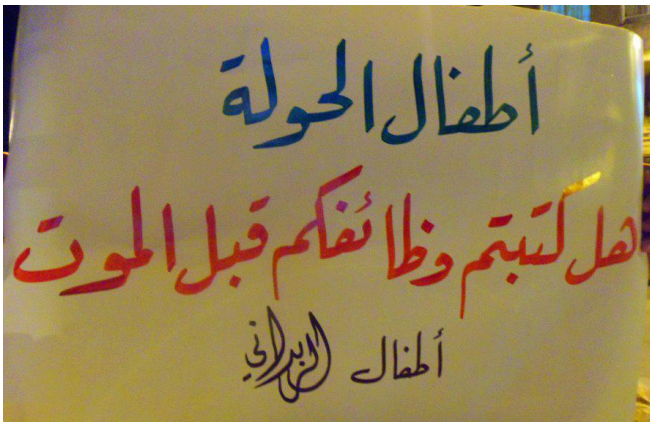

مذبحتان طائفيتان بامتياز في «الحولة» وبعدها «القبير»، وفي تفاصيلهما كل ما يمكن أن تتضمنه حرب أهلية طائفية، من إبادة عائلات بأكملها، إلى قتل أطفال بدم بارد على خلفية طائفية محضة. لا مجال للثورية أو التستر ، ولا معنى للقول إنها مليشيات موالية ارتكبت مجزرة بحق معارضين، فلا القتلة موالون لنظام «البعث» ذلك أنهم قتلة طائفيون يعتقدون أنهم يدافعون عما يسمونه طائفتهم، ولا المقتولون معارضون، أو لنقل إن المقتولين لم يقتلوا لأنهم معارضون، لأنه لا يمكن أن يكون الأطفال في الحولة معارضين، وهذا يعني أن المقتولين قتلوا لأنهم من طائفة مغايرة لطائفة القتلة، هذه هي الحقيقة العارية التي لا يفيدها تجميل أو تهذيب في الألفاظ، فكيف ترد الثورة على القتلة؟ أو بالأصح كيف يمكن أن ترد ردا يمهد لانتصارها؟

للإجابة على تساؤلنا لا بد من الإجابة أولاً على سؤال: لماذا كانت المجزرة؟ أو لنقل إنه إذا كان القتلة الذين أعملوا سكاكينهم وأسلحتهم في أجساد الضحايا فعلوا ذلك لأسباب طائفية، فالسؤال لماذا سمح النظام السوري بارتكاب مجازر كهذه؟ لن يفيد القول إنه سمح بذلك دفاعا عن «الطائفة العلوية»، فهو جواب تعوزه الدقة والحصافة، لأن النظام السوري لا تعنيه مصلحة أبناء «الطائفة العلوية» وإلا لما ساقهم إلى الموت والعداء مع المجتمع السوري، كما أن النظام لا يراهن من خلال مجازر كهذه على إرهاب الثوار، هؤلاء الذين لم يرهبهم القصف المدفعي والإعدامات والتعذيب، ولا شك أنه لا يهدف إلى رفع معنويات أنصاره فالمجزرة أصابتهم بالذعر ربما أكثر من المعارضين.

إن تحليلاً بسيطاً يقود إلى القول إن الهدف هو استدراج «السنة» إلى رد من جنس الفعل ، أي إلى مجزرة طائفية مقابلة في قرية «علوية»، لا لشيء إلا لأن النظام يريد أن يقنع العالم أنه يتساوى مع الثوار في القِيَم والأسلوب ومنهج التفكير، أي أن يضع نفسه أمام العالم في سلة واحدة مع الثوار، يريد حدثا فظيعا يتهم به الثوار ليحرمهم من كل تعاطف وتأييد خارج سورية وداخلها.

في أية معركة سياسية يكون على كل طرف أن يحبط مخططات خصمه، ولا يكون إحباط مخططات النظام إلا بعدم الانجرار إلى مستنقعه الطائفي القذر، أولا لأن الإنتقام الطائفي من مدنيين لا يجدي نفعا في ردع القتلة، لأن من يرتكب هذه المجازر أصلا موجود في المعركة، فليكن قتاله والإقتصاص منه في ميدان المعركة إذا، وثانيا لأن ردا كهذا سيصب في مصلحة النظام دون شك.

هذا في السياسة، وأما في القِيَم فإن الثورة جاءت ردا على نظام قمعي مجرم وطائفي، يستخدم القتل والإرهاب والتجييش الطائفي للبقاء، فهي إذا يجب أن تأتي نقيضه لتهزمه، يجب أن ترسي مبدأ محاسبة المجرمين دون الأبرياء، ردا على منهجه في قتل الأبرياء، ويجب

أن تأتي حامية لقيم الوطنية والمواطنة ردا على استهتار النظام بالوطن ووحدته وتماسكه.

ليست هذه دعوة لعدم معاقبة القتلة والمجرمين، كما أن ما تقدم لا يهدف إلى الدفاع عن القرى التي قدمت حاضنة آمنة للقتلة والمجرمين، ولكنها دعوة لعدم الانزلاق إلى قِيَم النظام الفاشي وأساليبه، ودعوة لحماية الثورة من أخطاء قد تودي بها، وللحفاظ على أهدافها في إرساء العدالة والمواطنة، بدل الظلم والطائفية. وأما القتلة والمجرمون وأذناب النظام فإن عقابهم سيكون الآن في ميدان المواجهة مع أبطال الجيش السوري الحر، وسيكون بالقصاص العادل بعد سقوط النظام، وبعد القصاص سيشكل بناء الدولة الوطنية الديمقراطية العادلة وإلزام الجميع بالخضوع للقانون والنظام الديمقراطي تصفية الحساب النهائي مع القتلة وأنصارهم.

«شو هي الحرية اللي بدكن ياها؟»

سؤال سمعته مراراً، ومن الكثيرين... أصدقاء واقعيين، أصدقاء وهميين على شبكة الانترنت، رجال أمن، شبيحة... وفي الواقع، لم تكن لدي إجابة واضحة ومحددة عنه...

دفعني هذا إلى التساؤل بشكل جدي: «ما هي الحرية التي يريدها السوريون؟»... وقررت أن أسأل كل من هم حولي... صغاراً وكباراً، فتيات وشباناً، معارضين وحتى موالين... ربما سيساعدني ذلك في رسم صورة لسوريا التي نحلم بها جميعاً...

سعاد يوسف

رمق المحارب الأخير

■ عروة المقداد

رجيم
وروحك مرقص
في حانة البول الحار
الثقوب الغائرة في الجروح
بصاق في جوف الجريمة.

ثمة رمق أخير
وكتف المحارب مكسور
كتفه معضوض
يقضمه الصمت

* * *

أنت:
أيها العاري من أسماءهم
وجنونهم
شجّ رأسي
كي يسيل العالم
ويتدفق الصراخ والنواح
لا تصدقهم فهم كاذبون خونة
يتسولون العاطفة الكريهة
يتسولون الألم.

قف
قلت لك قف أيها الكسيح
انظر إلى هذا اللحم المقدود من ضرع السماء
حين تحاصر الجنازير الوجوه الفاغرة صوب الوميض

* * *

فمي مغارة
أمشي خلف الرؤوس، حيث العقل طائر ممزق العينين
أمشي في برك روث تستحيل أزهار

شد اللحم على سيفك
وسن أسنانك بالعظام
واشرب الدم
حتى تفور الرغبة وتضاجع
الأرض اليابسة
تبث في شقوقها مني القسوة
وتئن بين أطرافك المتكلسة

بطني متكور
حبلت الألم
ظهري رعاف
أنا أم المجزرة
ومخاضي اشلاء وجثث

* * *

العالم ضيق
أضيق من سَم إبرة
وروحي فضاء

حوار بين علماني مؤيد وآخر معارض في سورية

■ فراس قصاص

إنه حوار حقيقي في بعض فصوله ومتخيل في بعضها الآخر، طرفاه علمانيان سوريان، أولهما مؤيد للنظام السوري وثانيهما كاتب هذه المادة والذي يجهر بمعارضته لهذا النظام منذ ما قبل الثورة. يدور هذا الحوار حور مبررات كل فريق لموقفه من النظام والثورة السورية.

يقول المؤيد: كيف لي أن أقف ضد نظام علماني، وأساهم في دفع البلاد صوب مستقبل تسيطر عليه قوى سلفية ستسلبنا نسقا من الحريات المهمة التي تمتعنا بها أيام النظام الحالي، صحيح أن نظام الرئيس بشار الأسد استحوذ على المجال السياسي وصعد إلى السلطة دون شرعية شعبية وبانقلاب عسكري، إلا أن الشعب السوري تمتع بهامش معقول لممارسة حريات شخصية، هي من الأوسع في المنطقة العربية، حرية ممارسة الطقوس الدينية، حرية الإيمان وعدم الإيمان، حرية تناول المشروبات الروحية، حرية ارتياد الملاهي الليلية، قد ينظر احدهم إلى ذلك بازدراء، إلا أنني والكثيرين يرون في ذلك جزء لا يتجزأ من الحرية. ثم لا تنسى أن الفن في سورية قد حقق نهوضا مهما، فعلى حد معرفتي، لم يعاني أي فنان سوري من تبنيه لأي موقف إبداعي أو مدرسة فنية، لم يكن ليتعرض احد له، طالما بقي بعيدا عن محرم السلطة والسياسة، انظر إلى الدراما السورية كيف حققت في السنوات الأخيرة قفزة نوعية وتسيدت أو قاربت، الساحة الدرامية في المنطقة. المسيحي في سورية يعيش مطمئنا، وكذلك الدرزي والإسماعيلي والمرشدي، حتى اليزيدي لا يعاني من قمع ديني ذو صبغة مؤسساتية. صحيح أن لبعض العلويين السوريين ميزات ووضع خاص، إلا أن ذلك لا يصل إلى حد التمييز الواضح والتحيز إليهم ضد المكونات السورية الأخرى. ثم لا أدري كيف تتجاهل حقيقة مواقف السلطة في سورية الممانعة والداعمة للمقاومة وللحقوق الفلسطينية والعربية، وكيف أن ذلك يجعله نظاما غير مرغوب فيه بالنسبة للغرب وأمريكا وقبلهما إسرائيل، بالتالي ألا يصب هذا في منطقية أن تكون ما تسميه أنت ثورة ليس إلا مؤامرة أمريكية وإسرائيلية، وإلا كيف تفسر لي الحرص الأمريكي على إدانة النظام وحشد المجتمع الدولي ضده في مجلس الأمن واستماتتها في تبني موقف إسرائيل واستخدام حق النقض الفيتو في نفس المجلس. يا صديقي كنا نعيش أمانا قبل هذه الإحداث التي تسمونها ثورة، كنا نأمن على أنفسنا وحياتنا وممتلكاتنا، الآن لا أحد منا يضمن حياته ولا يجرؤ أيا كان على السفر من محافظة إلى محافظة أخرى خوفا من قاطعي الطريق وخاطفي البشر الذين يطالبون بفديات مالية باهظة مقابل الإفراج عن ضحاياهم.

يرد المعارض: لم يكن نظام الاستبداد في سورية نظاما علمانيا بأي حال، النظام العلماني لا يجذر الطائفية، ولا يوظف التناقضات الدينية والمذهبية خدمة لتسلطه وبقائه، النظام العلماني يدعم التنوير في المجتمع ولا يعمل ضده، ألم يحافظ النظام السوري على الوعي الطائفي وكرس الغيتوات النفسية بين الطوائف السورية بدلا من العمل على حلها، ألم يمنع العمل السياسي والمدني والحقوقي الذي يكسر الحواجز الطائفية بين الناس ويغني المواقف العقلانية لديهم، ألم يوظف العامل الديني حين تحكم به وصنع ولاءات وداعمين له ينطقون وفقا لهواه السلطوي، قل لي من أعاق جدلية صراع الأفكار الاجتماعي السلمي في سورية وبالتالي منع من تحقيق تقدم حقيقي وايجابي في صيرورة الوجود السوري، أليس هو النظام الذي لم يسمح لأي نسق فكري أو سياسي بالتواجد في المجال العام سوى نسقه هو، ألا يخلق الجديد من رحم التلاقح والصراع بين الأفكار والمواقف والقراءات المختلفة في المجتمع. النظام السوري أراد أن يحافظ على الشروط القروسطية معرفيا التي أنتجت الحالة التي تسيدها هو، فوظف كل الأدوات التي تمتلكها السلطة من نظام تعليمي وتربوي وإعلامي لإنتاج ستاتيكو معرفي ومجتمعي وسياسي أفرز في واقع الأمر مواتا وصمتا وركودا ولم ينتج أمانا وحيوية وحياة سليمة. أما عن الحريات التي صانها النظام، حرية ممارسة الطقوس والشعائر الدينية، الحريات الفنية والشخصية، فما هو معروف تماما أن كل الأنظمة التي حكمت سورية الحديثة قبل النظام السوري، بل كل الحكومات بمعنى أصح، كانت حامية لهذه الحريات ومدافعة عنها أكثر وأجدى بما لا يقاس من النظام الحالي، ينطبق ذلك على الحريات الفنية والشخصية كما ينطبق على الحريات الدينية، الطقسية منها والشعائرية، نذكر جميعا ويذكر المعنيون بقطاع السينما السورية كيف كان الفن عموما والسينما خصوصا، أكثر تحررا من الرقابة وأكثر تعبيرا عن الحياة وواقع الناس بالقياس إلى وضعها الحالي، وضع المرأة أيضا كان أفضل في المراحل السابقة على النظام من عهد الاستبداد الحالي، كانت سائرة على طريق التحرر وتحقيق المساواة وحاضرة في الحياة العامة والفنية والثقافية بشكل أكثر عمقا وأكثر تجسيدا لقضية تمكين المرأة التي عدنا فيها خطوات كثيرة إلى الخلف هذه الأيام، والدلائل كثيرة.

أما عن تطرقك لوضع المسيحيين في سورية الذي وصفته بالجيد والمصان في حقبة النظام المستبد الحالي أقول: المسيحي لم يكن يعيش أمنا وحسب قبل النظام الحالي، بل كانت علاقته مع المسلم في الإطار المؤسساتي والاجتماعي والعام أكثر غنى وسلامة وتطورا، كذلك كانت علاقة المذاهب الأخرى ببعضها، لم تكن علاقة سليمة بالمعنى الذي نتطلع إليه، لكنها كانت أقرب إلى السلامة والإثمار الاجتماعي والسياسي مما هي عليه الآن في مرحلة النظام السوري المستبد، حتى علاقة الطائفة العلوية بالسنية في سورية، والتي تضمنت خلاصات عن تماسات تاريخية صراعية عاني منها العلويون في معظم المراحل بوصفهم أقلية، حتى هذه العلاقة كانت في طريقها إلى التصحيح تحت سقف الحياة السياسية والثقافية الواعدة ولولا هذا النظام وسياساته الاستبدادية التي وضعت المجال الروحي في خدمة مصالحه ودوام بقائه، لتغير المتخيل الطائفي لدى الجميع، واستبدل بعناصر مدنية للهوية الجماعية على النحو الذي تستحقه بلادنا وإنسانها.

عزيزي المؤيد: ليس هناك ثمة مبررات دامغة لمخاوفك عن حدوث سيطرة سلفية متعصبة على البلاد، سورية ليست محكومة بسيناريو تسيطر بموجبه على الحكم قوى سلفية ومتعصبة ولا حتى صبغ أكثر اعتدالا من الإسلام السياسي، سوريا ليست كتونس ولا كمصر وليبيا، فيها من التنوع الديني والمذهبي أولا، والإثني المعبر عنه بابتعاد عن الخلط بين الدين والسياسة ثانيا، ما يمنع وصول نظام ديني متعصب إلى سدة الحكم في سورية، وليس عليك النظر إلا إلى النسب المئوية للمكونات السورية ومن ثم إلى ما يتوقع من ميولها وانجذابها الانتخابي بعد سقوط النظام حتى ينتفي الاحتمال والهاجس الذي تحدثت عنه.

عن حديثك حول البعد الممانع لسياسة النظام ودعمه للمقاومة أقول: حتى لو أهملنا حقيقة أن الشعب السوري كله كان ولا يزال أكثر التصاقا وحملا للدفاع عن الحقوق العربية من النظام المستبد الحالي، وأن كل حكوماته السابقة كانت أيضا أكثر إيمانا بالمقاومة لإسرائيل وأكثر عملا لها وتأسيسا لإنجاحها، حتى لو أهملنا كل ذلك، يكفي دحضا للفهم الذي تحدثت عنه، واقع أن هذا النظام استخدم الصراع مع إسرائيل حجة لقتل السياسة وسحق الحياة العامة، ألم يعلن حالة الطوارئ والأحكام العرفية التي رافقت سنين حكمه كلها، فقتل باسمها الحرية والشعور بالكرامة لدى الشعب السوري، ألم يؤدي ذلك في المحصلة إلى إضعاف سورية وموقفها في الصراع ضد إسرائيل، بدلا من تصليبه وتعزيزه، السلطة التي تنتهك حرية وكرامة وحقوق شعبها لا يمكنها أبدا، أن تنجح في أي صراع خارجي صعب، كالصراع مع إسرائيل، وفشل النظام السوري في ذلك الصراع لا يحتاج إلى إثبات مع بقاء الجولان السوري محتلا حتى هذه اللحظة، ذلك الفشل الذي تحوله آلاته الإعلامية المضللة إلى انتصار وصمود أسطوري فقط حتى يبعد النظر عن تهافت شرعيته المرتبطة بموضوع المقاومة التي روج لها دائما، قبل أن تسقط بشكل مدوي عندما استدار ليقتل شعبه بدلا من محاربة إسرائيل.

بقي أن أقول حول هذه النقطة: إن الربيع العربي طال نظما صديقة وغير صديقة لأمريكا، دولا ذات علاقات مع إسرائيل وأخرى لا تربطها بها علاقات، ثورات الربيع العربي جاءت استجابة طبيعية لتغير المحتوى المادي والتقني للواقع الذي يتطلب تغييرا في المحتوى السياسي والثقافي والفكري والقيمي بشكل يستحيل معه بقاء أنظمة قمعية واستبدادية مطلقة ومغلقة على هذه الشاكلة الموجودة في المنطقة، سقوط النظامين التونسي الصديق لأمريكا والمعتدل جدا بالنسبة لإسرائيل وسقوط النظام المصري الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة والذي تربطه استثناءا عن الدول العربية علاقات ومعاهدة سلام مع إسرائيل، كل ذلك ينفي نظرية المؤامرة الإسرائيلية الأمريكية على النظام في سورية، بل لعل وربما أهم أسباب عدم الحسم الذي أظهرته الولايات المتحدة إزاء النظام السوري يكمن في بقاء إسرائيل على الحياد في موضوع النظام والموقف منه إن لم نقل منحازة له بشكل ضمني، وإلا لتحرك اللوبي الإسرائيلي في أمريكا وضغط على الإدارة الأمريكية لجهة أخذ موقف حاسم منه، وكلنا يعرف كم هو مؤثر موقف هذا اللوبي على القرار الأمريكي، الذي لو تحرك لمصلحة إسقاط النظام مرافقا لسياسة إسرائيلية داعمة استراتيجيا لهذا الخيار على المستوى الدولي، لسقط منذ أشهر طويلة، من مصلحة إسرائيل استمرار الوضع الحالي على ما هو على، وعدم القيام بأي عمل من شأنه إنهاء حالة النظام السوري، فتحول الأوضاع في سورية إلى صراع أهلي وطائفي، الحاصل شيئا فشيئا الآن، يصب في مصلحتها، إسرائيل ليست متحمسة بالتأكيد لدولة ديمقراطية تحفظ كرامة شعبها وتنتصر لإرادته وتعكسها في سياستها الخارجية والإستراتيجية. مثل هذه الدولة ستشكل خطرا حقيقيا على إسرائيل ومستقبل احتلالها للأراضي العربية.

أخيرا لم يكن الشعب السوري يعيش أمنا حقيقيا في ظل هذا النظام، بل كان يخبئ احتقانا ويعاني من ضغوط قمعية واستبدادية لا بد ستفجر حياته ووضعه يوما ما، ومع ذلك لم يطل ذلك الانفجار المتوقع حصوله مع اشتعال الثورة سوى عالم الخوف الذي شيده النظام في سورية، قاوم المجتمع السوري الثائر لأشهر طويلة الآثار التي تركها الاستبداد على شخصيته، تجنب العنف ورفع شعارات وطنية تطغى عليها الرغبة في التأسيس لدولة المواطنة والمساواة والحياة المشتركة والكرامة وانطلق المجتمع مسالما يؤسس ويطالب بحريته، إلى أن أدخل النظام سورية المرحلة الخطرة التي تعيشها الآن، باستخدامه العنف وقتله للثوار السلميين، الأمر الذي اضطر الشعب إلى تبني خيار المقاومة العنفية دفاعا مشروعا عن النفس في مواجهة نظام يستهدف حريته ويمعن فيه القتل والمجازر، أما عن الصراعات والأخطاء والاقتتال وشيوع حالات من الاختطاف التي تحدثت عنها، فذلك لا يمت للخط الواضح للثورة بصلة ولا ينتج عن سياسات المعارضة والقوى الداعمة للشعب بأي حال من الأحوال، إن هذا النوع من التعرج والالتواء والعنف الذي يقع في سورية ولا ينتمي إلى روح الثورة هو أمر طبيعي وقد حصل أكثر منه سوءا في كل المنعطفات التاريخية التي مرت بها المجتمعات الإنسانية، إذ ليست للثورات على الحقيقة، الثورة السورية وسواها، صورة مثالية، ليست ثمة ثورة مثالية أبدا، لم تكن كذلك الثورة الفرنسية ولم تكن كذلك كل ثورات التاريخ.

إن ما تعيشه سورية الآن هو صخب الحياة ومخاض الولادة العسير للحرية وما كانت تعيشه قبل الثورة ليس إلا صمت القبور وأسن المستنقعات، وليس علينا إن كنا علمانيين حقا ومؤمنين بالإنسان وحقوقه وحريته وحياته كمركز لعلمانيتنا إلا أن ننتصر للثورة ونؤيدها.

عن موقع إيلاف

قانون الأحوال الشخصية رقم 31 للطوائف الكاثوليكية

■ ياسر مرزوق

منذ دخول الإسلام سوريا وانتشاره واعتماده كقانونٍ يحكم جميع مناحي الحياة، حيّد المشرع الإسلامي الطوائف الأخرى من ناحية الأحوال الشخصية وترك لها الاحتكام للمحاكم الروحية الخاصة لكل طائفة، واستمر الحال قروناً حتى نهايات عهد الاحتلال العثماني لسوريا فعندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى أصدرت قانوناً أسمته قانون حقوق العائلة في 25 تشرين الأول 1915 ألغت بموجبه الامتيازات الأجنبية بالنسبة للأجانب وألغت جميع اختصاصات المحاكم الروحية وأخضعت جميع الرعايا من مَسلمين ومسيحيين لهذا القانون، وحصرت الفصل في النزاعات بالمحاكم الشرعية وبقي الأمر كذلك إلى أن انهزمت الدولة العثمانية في تلك الحرب، وأخرجت من البلاد، وزال معها قانون الحق العائلي. واستمر الحال بين مدٍ وجزر إلى ما بعد الاستقلال حيث صدر قانون الأحوال الشخصية رقم 59 تاريخ 1953/9/17 الذي أعاد قسماً منقوصاً من الحقوق إلى المحاكم الروحية فأصبحت بموجبه المحاكم الشرعية هي صاحبة الاختصاص للنظر بالنسبة للمسلمين والمسيحيين واليهود في كل ما يتعلق بأمور الولاية والوصاية والنيابة وإثبات الوفاة والإرث والحجر والنسب والنفقة،و تركت للمحاكم الروحية اختصاصاً منقوصاً في أمور انحلال الزواج والحضانة ونفقة الأولاد.

وفي عام 2006صدر قانون الأحوال الشخصية الجديد رقم 31 للطوائف الكاثوليكية والذي اعتبر نافذاً من تاريخ صدوره في 2006/6/18، ومما لاشك فيه أن القانون الجديد ساهم في حل الكثير من المشكلات العالقة منذ فترات طويلة وشكل خطوة متقدمة على صعيد حقوق المرأة في سورية ورفع جزئياً التحفظات السورية على اتفاقية مناهضة كافة أشكال التمييز ضد المرأة وكذلك اتفاقية حقوق الطفل، حيث اعتمد القانون الجديد على القانون العام للطوائف الكاثوليكية في العالم، أو ما يسمى "مجموعة قوانين الكنائس الشرقية الكاثوليكية" والتي تم تعديلها في العام 1990 ودخلت حيّز التطبيق في العام 1991، وقانون الأحوال الشخصية القديم بشقيّه المفعّل والمعطّل، والاتفاقيات الدولية كاتفاقية مكافحة التمييز ضد المرأة أو اتفاقية "السيداو" واتفاقية " حقوق الطفل".

وقد أتى القانون الجديد على تعديلات واسعة لعل أهمها، السلطة الوالدية التي عادت لتكون مشتركة بين الأب والأم وموضوع الوصية إذ أصبحت لوارث أو لغير وارث.

كما عالج القانون الجديد مسألة الإرث لدى الطوائف الكاثوليكية،فالقانون رقم 59لعام 1953 الذي كان مطبقاً فرض الإرث الشرعي الوارد في القرآن الكريم والقائم على أسس أشهرها: " للذكر مثل حظ الأنثيين، الرجل يرث من زوجته الربع في حال وجود الأولاد والنصف عند عدم وجودهم، المتوفى عن ابنة أوعن عدة بنات يدخل في ارثه أقاربه الذكور العصبيون الأقرب نزولا "، أما القانون الجديد فقد نص على مايلي: المادة 180 الفقرة 1: "- يعتبر الذكور والإناث من الأولاد والأحفاد متساوين في حصصهم بالميراث " وهذا يعني أن البنت صارت قاطعة للميراث فمن توفى عن ابنة واحدة لا وريث له إلا ابنته ولا يدخل في إرثه أقرباؤه العصبيون.

فقرة 5: "أ- إن حصة زوج أو زوجة المتوفى من التركة هي الربع عند وجود ورثة من أصحاب الانتقال من الفئة الأولى" "ب – وتكون حصته النصف عند وجود ورثة من أصحاب الفئة الثانية أو الثالثة" أي ساوى في الإرث بين نصيب الزوج والزوجة على حدٍ سواء.

كما نص القانون الجديد على احتفاظ الزوج الباقي على قيد الحياة بالمسكن الزوجي لحين وفاته أو اجازته الورثة بتحريره كجزء من التركة. وقد هدف من خلال هذه الخطوة الى حفظ كرامة الزوج الباقي على قيد الحياة. فقرة 7: "في حال وفاة أحد الزوجين وبقاء الآخر على قيد الحياة فإن بيت الزوجية لا تحرر تركته إلا بعد وفاة الزوج الباقي على قيد الحياة ما لم يقرر التخلي عنه".

هناك أيضا مسألة الذمة المالية المشتركة. فقد تم طرحها كمبدأ جديد وكخيار للطرفين في حال رغبتهما بذلك، شريطة أن تكون هذه الرغبة موثقة خطياً قبل الاحتفال بمراسم الزفاف. والحضانة التي عادت إلى سابق عهدها أي سنتين إرضاع للأم ومن بعدها تصبح المسألة مسألة حراسة أولاد، وعند الشخص الأصلح لرعايتهم.

أيضا هناك الوصاية التي حدّدها القانون بثلاثة أنواع هي: " الوصي الجبري وهو أحد الوالدين الباقي على قيد الحياة. الوصي المختار وهو الذي يختاره أحد الوالدين قبل الوفاة وتنحصر مهامه في إدارة الأملاك، ويحتاج إلى تثبيت تعيينه من المحكمة،الوصي المنصوب وهو الذي تعينه المحكمة عند الضرورة ".

وقد يكون الموضوع الأهم هو إقرار القانون للتبني، فنص على مايلي:

المادّة 66: التبني عقد قضائي احتفالي ينشئ بين شخصين روابط مدنية لأبوةٍ وبنوّةٍ شرعيّتين.

المادّة 67: لا يُسمحُ بالتبني إلاّ لأسباب صوابية ومصلحة بينة للمتبنى، بعد التأكد من حسن سيرة المتبني، مع مراعاة أحكام المواد التالية: المادّة 68: كل شخص علماني، رجلاً كان أو امرأة، تجاوز الأربعين من عمره يستطيع أن يتبنى بشرط أن يزيد عمره ثماني عشرة سنة عمن يريد أن يتبناه، وذلك تحت طائلة البطلان.

المادّة 69: متبني الكاثوليكي يجب أن يكون كاثوليكياً، ما لم توافق السلطة الكنسية على أن يكون المتبني مؤمناً مسيحياً من إحدى الكنائس الشرقية غير الكاثوليكية. غير أن ذلك لا يستلزم حتماً وحدة الطقس.

المادّة 70: لا يجوز للشخص أن يتبناه أكثر من واحد، إلا إذا تبناه زوجان.

المادّة 71: لا يحق لأي الزوجين أن يتبنى أو يُتبنى إلا بموافقة الآخر. يستثنى من ذلك حالة الهجر الدائم أو وجود أحدهما في حالة يستحيل فيها إظهار الرأي، لكن يجب في هذه الحالة الأخيرة موافقة الأسقف.

المادّة 72: لا يصح التبني إلاّ بقرار من المحكمة الكنسية يصدقه مطران الأبرشية.

المادّة 73 – 1: يشترط لصحة تبني القاصر موافقتُه إذا كان مميزاً وموافقة والديه أو الحي منهما أو من كان القاصر في حراسته إذا كانا منفصلين بهجر دائم أو ببطلان زواج، أمّا إذا كان كلاهما متوفيين أو يستحيل عليهما إبداء الرأي فيقوم مطران الأبرشية مقامهما، في كل حال يحق لمن تُبني قاصراً أن يطلب من المحكمة، خلال سنة من بلوغه سن الرشد، إلغاء تبنيه وعلى المحكمة أن تستجيب لطلبه.

المادّة 74: يعد باطلاً لا قيمة له:

أ- تبني الوالدين أولادهم غير الشرعيين.

ب- تبني الولي من هو تحت ولايته، والوصي من هو تحت وصايته، والقيم من أمواله تحت إدارته، ما لم يتحرر هؤلاء وأموالهم تحرراً نهائياً وتجري المحاسبة عليها أمام المحكمة.

المادّة 75: يطلق على المتبنى اسمُ عائلة متبنيه وتصبح حقوقه عليه وواجباتُه نحوه حقوقَ الولد الشرعي على والده وواجباته نحوه، مع مراعاة أحكام المواد التالية:

المادّة 76: يبقى المتبنى عضواً في عائلته الأصلية. له فيها كل الحقوق وعليه نحوها جميع الواجبات، على أن حقوقَ السلطة الوالدية عليه تنحصر في متبنيه ما دام هذا حياً وأهلاً لها. أمّا عند وفاته أو فقدانه الأهلية فتعود إلى والد المتبنى أو إلى من يقوم مقامه.

المادّة 77: لا يلزم الوالدان الأصليان بالنفقة لابنهما المتبنى لآخر، إلا إذا عجز عن الحصول عليها ممن تبناه.

المادّة 78: " إذا توفي المتبني دون فروع أو أصول فنصيب المتبنى في تركته نصيب الولد الشرعي، فيما لو وجد، أمّا إذا كان للمتبني فروع أو أصول أو إخوة أو أخوات فللمتبنى نصف حصة الولد الشرعي في إرثه."

المادّة 79 – 1: إذا توفي المتبنى دون فروع شرعيين، فكل باق مما وصل إليه من المتبني يرد إليه أو لورثته. وأمّا أمواله الأخرى فتوزع على ورثته الشرعيين بحكم الشرع العام.

2: حق المتبنى في إرث المتبني ينتقل إلى فروعه فقط وينحصر في تركة المتبني الشخصية، وليس للمتبنى ولا لفروعه أي حق في تركة والدي المتبني أو أقاربه.

سـوريا الثـورة

■ أحمد الأحمد

"السوريون خرجوا إلى الشارع مطالبين بالتغيير ولن يعودوا قبل تحقيقه". هذه هي العبارة التي تتردد على ألسنة المراقبين. على مدى نحو أربعة عشر شهر، أدى القمع العنيف للمتظاهرين إلى نتائج عكسية. لقد أدى إلى توسع المظاهرات جغرافياً وازدياد أعداد المشاركين فيها، وارتفاع سقف المطالب من الإصلاح السياسي إلى إسقاط النظام، إلى إعدام الرئيس بل إعدام نظامه الخائن

هذه اللحظة جاءت مفاجئة لمعظم السوريين. قبل بضعة أشهر لم يكن أحد من السوريين ليتصور مثل هذه الأحداث. ولكنها شكلت مفاجأة من العيار الثقيل للنخبة الحاكمة. فهي لم تتصور أن السوريين سيتجرؤون يوماً على تحدي قبضتها الأمنية وأنهم مستعدون لمواجهة الرصاص مراراً وتكراراً في إصرارهم على التظاهر السلمي مطالبين برحيل نظام.

والسوريون اليوم ينتزعون احترام العالم بإصرارهم على سلمية التظاهر رغم قمع السلطة المفرط. وقد دفعوا حتى اليوم قرابة 2000 1 شهيد ومئة ألف جريح وثمانين ألف معتقل ومليوني فار ومئة ألف مهجر داخليا وخارجيا إلى تركيا والأردن ولبنان والعراق، إضافة لخراب مزروعاتهم وتهديم بيوتهم وتعطيل أعمالهم. وحرق الممتلكات وتصفية الناشطين والعقوبات الجماعية على القرى والبلدات

النخبة الحاكمة كانت مطمئنة بأن سياسة الممانعة هي صمام الأمان. كانت تعتقد أن سوريا لا يمكن أن تؤخذ من الخارج. وأن القوى الإسلامية هي الوحيدة القادرة على أخذها من الداخل فسعت لإقامة تحالف غير مكتوب معها، فأطلقت لها حريات أوسع، بينما ضيقت على القوى الليبرالية والعلمانية والتقدمية والمدنية، وكانت تعتقد أن تحالفها مع حماس وحزب الله وأحزاب الأخوان المسلمين خارج سوريا ودعمها المقاومة العراقية الإسلامية وحتى علاقاتها مع تركيا الإسلامية، كل هذا كي تجعل الشارع الإسلامي السوري يتخذ موقفاً وديا منها، ولكن دون أن تسمح، هذه السلطة، بقيام أية تنظيمات إسلامية في سوريا ، حتى لو كانت لحزب الله، إذ بقيت تخشاها فأبقتها تحت المراقبة الشديدة. ولكن ما كانت النخبة الحاكمة تخشاه قد تحقق فعلاً. فالشارع الإسلامي نفسه اليوم يشكل جزءاً كبيراً من المتظاهرين السلميين مطالباً بإسقاط النظام، دون أن ينجر إلى أجندة طائفية، عدا فئات صغيرة منه.

النخبة الحاكمة لم تفهم الأزمة وأسبابها، وهي لا تريد الاعتراف بها، لأن الاعتراف يتبعه قبول تداول السلطة. وسعت لأن تفسر ما يجري بـ "مؤامرة خارجية تنفذها عشرات العصابات السلفية المنظمة المسلحة تسليحاً ثقيلاً" والتي ملأت أخبارها وسائل إعلام السلطة دون أن تبرز إثباتات مقنعة. و"المؤامرة والعصابات المسلحة تواجه بالجيش والأمن" هذا هو منطق النخبة الحاكمة، بينما رفضت هذه النخبة الاعتراف بالأسباب السياسية للأزمة والتي تحتاج لمعالجة سياسية وليست أمنية. وترفض المعارضة روايات العصابات المسلحة وتقول أن كل هذا من تدبير السلطة.

النخبة الحاكمة تتعرض لمزيد من الضغوط والعقوبات الدولية. وسعت منذ البداية لاستخدام العصا والجزرة. فتمضي في حلها الأمني من جهة، وتقدم بعض المزايا مثل زيادات رواتب ومزيد من الوظائف وتسهيلات للمواطنين في التعامل مع الجهات الحكومية وغيرها. وعندما لم تنفع كل هذه الأدوات في وقف التظاهر سعت للمساومة، فألغت حالة الطوارئ المفروضة منذ 1963، ألغتها نظرياً وأبقتها عملياً، وأصدرت قانون للتظاهر، ولكن منحت تراخيص التظاهر للموالين ومنعتها عن المعارضين. وأعلنت قوانين أحزاب وإعلام وانتخابات، وتغيير الدستور بما في ذلك المادة الثامنة التي تمنح حزب البعث احتكار السلطة. ودعت لحوار وطني يشمل المعارضة، ولكنها وفي نفس الوقت ماضية في الحل الأمني وأقحمت الجيش الوطني في العمليات مما يمنع خلق الثقة بين المعارضة والسلطة.

النخبة الحاكمة في حيرة. فتنفيذ ما يطالب به المتظاهرون، بل حتى تنفيذ ما اضطرت لإعلانه تنفيذاً حقيقياً إنما يعني خسارة السلطة في أول انتخابات حرة، وهذا ما لا تريد فعله أبداً. وهي تأمل أن تجد حلاً ما للأزمة ولكنها لا تعرف ما هو ولا كيف. فهي تريد حل الأزمة مع بقاء السلطة، وهذا غير ممكن لأن هذه السلطة بالذات هي الأزمة بالنسبة للمعارضة وللشارع الذي يتظاهر. واستخدام مزيد من القمع عما استخدم حتى الآن، غير ممكن لأنه يؤدي لمزيد من التظاهر الداخلي وإلى مزيد من الضغوط الدولية وخسارة سوريا لجميع أصدقائها، وخاصة تركيا التي كانت تدعى "الشقيقة" حتى قبل بضعة أشهر، ولم يبق لسوريا سوى إيران وحزب الله، بل يهدد الإفراط في استخدام العنف بانفراط عقد الجيش، وقد بدأت بعض مظاهره بالبروز، وتحول المظاهرات السلمية إلى حمل السلاح وبروز الجيش الحر كقوة على الأرض ليفرض مطالبه المتمثلة بإسقاط النظام

النخبة الحاكمة تطلب وقف التظاهر اليوم "لإتاحة فرصة لتنفيذ الإصلاحات وقيام الحوار الوطني" وهي تسعى لذلك عله يكون بداية لوقف دائم للتظاهر وإعادة السيطرة على الأوضاع، والقيام بالإصلاحات التي لا تؤدي لفقدان السلطة.

المعارضة ترفض وقف التظاهر تحت أي ظرف، ولا تقبل الدخول في الحوار وتدعو لوقف الحل الأمني وسحب القوى الأمنية من المدن والقرى وإطلاق سراح المعتقلين والسماح بالتظاهر السلمي بدون إذن مسبق. وتراهن المعارضة على إسقاط النظام بالطرق السلمية ويتوقع تصاعد التظاهر في الأيام القادمة ليصل الذروة بعد انضمام مدينة حلب للتظاهر السلمي. ودمشق والرقة حينها ستكون قوة الشارع قد بلغت الذروة وستفاوض المعارضة العالم من موقع قوة مدعومة بضغوط المجتمع الدولي. وهي تسعى لتنظيم صفوفها وبلورة برامجها لتجيب على سؤالين رئيسيين حول شكل نظام الحكم الذي سيلي نظام البعث، وحول وجود قوى منظمة قادرة على قيادة البلاد بما يمنع وقوعها في الفوضى.

يرى المراقب أن ثمة أكثر من رأي يبرز في أوساط النخبة الحاكمة، وخاصة دائرتها الأوسع. فثمة متشددون في الدائرة الضيقة للنخبة الحاكمة يصرون على مواجهة الشارع بكافة الوسائل وحتى النهاية، معتقدين بإمكانية الانتصار آملين بدعم إيراني. وثمة فئات واسعة تدعم استمرار النظام مثل قيادات حزب البعث وفروعه وشعبه وقيادات منظمات الشبيبة والعمال والفلاحين والنساء المنتشرة في كافة المحافظات وقيادات أجهزة الأمن وكبار رجال الأعمال الذين كونوا ثرواتهم في ظل نظام البعث/ الأسد. وثمة فئات تخشى التغيير مثل المسيحيين وحتى فئات غير قليلة من شتى الطوائف الأخرى.

وتلجأ هذه الفئة المتشددة في أوساط النخبة الحاكمة للتجييش الطائفي مستخدمة المصالح التي خلقها نظام البعث/الأسد لأفراد الطائفة العلوية التي استخدمها بإفراط لتثبيت سلطته، مستغلاً الشعور التاريخي لأفرادها بالظلم ورغبتهم في التعويض عن التمييز الذي مورس ضدهم لعدة قرون، وخاصة خلال السيطرة العثمانية على سوريا ، بحيث أصبحوا طائفة مهمشة فقيرة جدا محرومة من حصتها من المال والسلطة والاعتبار الاجتماعي. وتقوم هذه الفئة المتشددة بتجييش طائفي وتخويف الطائفتين العلوية والمسيحية والفئات العلمانية الأخرى من أن طابع المعارضة طابع إسلامي يريد إقامة سلطة ذات طابع سلفي، وتقدم ثورات تونس ومصر كأمثلة على الفرصة التي تخلقها الثورات العربية للإسلام السياسي الذي يخفي رأسه أيام الانتفاضات، فإذا ما تم النصر وأزيحت السلطة السابقة برز إلى مقدمة الفعل السياسي ساعياً لأخذ حصة الأسد من كعكة السلطة الجديدة.

هناك قناعة ثانية ضمن فئة قليلة من النخبة الحاكمة وهي أن المنافع الكبرى لنظام البعث/ الأسد كانت متركزة بيد عدد قليل من الأسر، وأنه ليس من المنطق تكبيد خسائر هائلة لفئات واسعة ودمار البلاد من أجل هذه المجموعة الصغير من العائلات الثرية، بينما يصون الانتقال السلمي مصالح النخب الحاكمة الضيقة والواسعة ولبقية من كان يدعمها من قريب أو بعيد، بما فيها مصالح الطائفة العلوية بالمعنى الواسع، بينما سيتسبب وقوع حرب أهلية في دمار واسع وخسائر هائلة للطائفة العلوية ولأعمال انتقام وتهجير. يتوقع أن يسهم تصاعد التظاهر في توسع هذه القناعة العقلانية في أوساط الدائرة الضيقة والواسعة للنخبة الحاكمة والفئات الداعمة لها، وخاصة بين ضباط الجيش القادة الذين يتولون قيادة معظم وحدات الجيش السوري وهم يملكون تأثيراً قوياً. لذلك بدأت تظهر الانشقاقات ضمن الجيش وبوتيرة متسارعة.

أما القناعة الثالثة التي تقنع بها فئة ليست قليلة بهذا النظام أن هذا النظام ساقط وهم يحاولون الانشقاق عنه ويدعمون الثورة بطرق مختلفة وينتظرون الفرصة للانقضاض على أفراد النظام المتهالك.

والشيء الأكيد إن الملايين خرجت ونادت بأن الشعب يريد إعدام الرئيس فلن يعودوا دون تحقيق ما تريد.

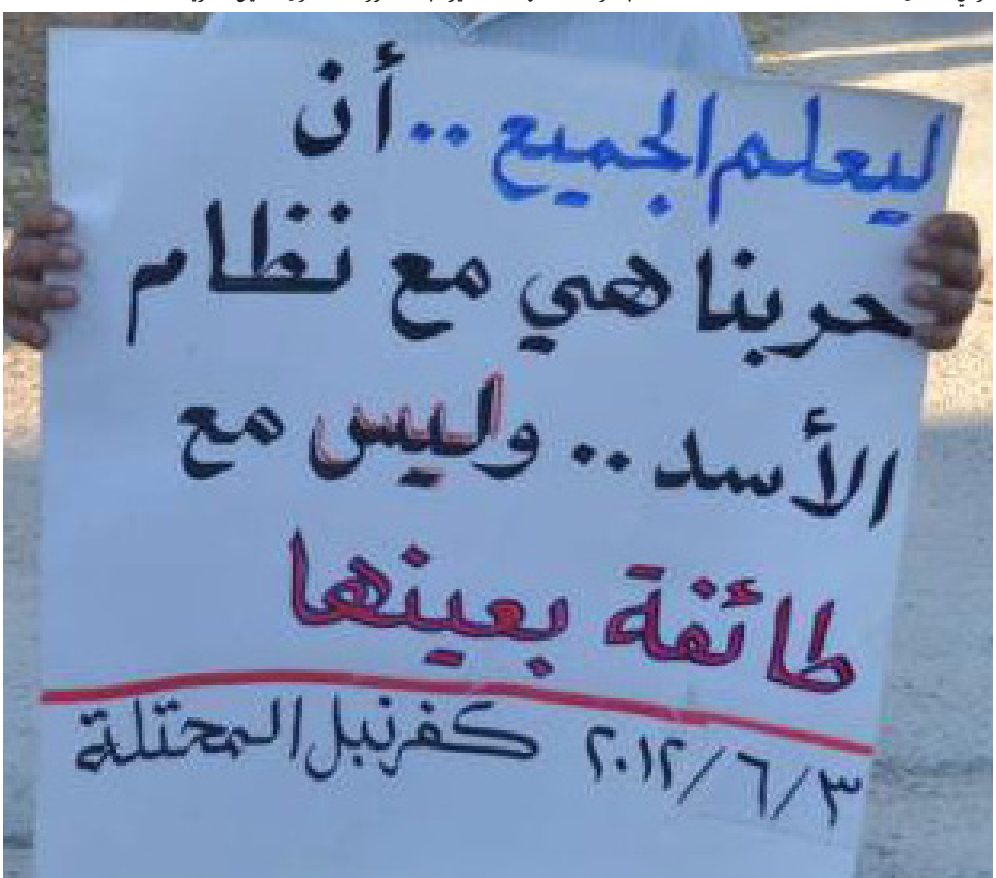

نصوحي البخاري 1881 - 1961

■ ياسر مرزوق

ولد السيد نصوحي البخاري في دمشق عام 1881، والده العلامة" سليم البخاري " والذي كان رئيساً للعلماء المسلمين في دمشق، عن جريدة "العهد الجديد" البيروتية وعن عددها الصادر بتاريخ 25 تشرين أول سنة 1928 ننقل: " طويت صباح أمس صفحة ماجدة وضاءة من صفحات العلم والوطنية والإخلاص بوفاة سماحة العلامة الجليل الشيخ سليم أفندي البخاري والد الشهيد البطل المرحوم جلال الدين البخاري وصاحب المعالي الوطني الكريم نصوحي بك البخاري وزير الزراعة والتجارة ووزير المعارف سابقاً والشيخ سليم أفندي البخاري علامة جليل من كبار علماء المسلمين، له ولعه الشديد بجمع آثار السلف الصالح واقتفاء أثر المخطوطات النادرة، والحرص عليها حرص البخيل على درهمه، كما أنه كان مثال النزاهة والعفة وطهارة اليد والذيل وصورة الأخلاق الفاضلة الكريمة، وهو أحد أركان النهضتين الوطنية والعلمية "، شقيقه " جلال الدين البخاري "ولناهنا أن ننقل عن مذكرات السيد "يوسف الحكيم " الجزء الأول صفحة /332/ " نصوحي البخاري هو شقيق جلال البخاري الذي حوكم في عاليه وأعدم في بيروت يوم 1916/5/6 مع الشهداء الوطنيين المطالبين باستقلال سورية. وابن العلامة سليم البخاري رئيس علماء دمشق الذي حوكم أمام الديوان العرفي العثماني في عاليه ونُفي إلى بروسية. وكان عضواً مؤسساً للجمعية الخيرية بدمشق، وهي جمعية إسلامية خيرية مارست العمل السياسي، أسسها الشيخ طاهر الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر، ودعت لإعادة العمل بالدستور العثماني الذي كان معطلاً آنذاك، وجعل الحكم في الدولة العثمانية والبلاد العربية حكماً يعتمد على الشورى ".

تلقى البخاري علومه في المدرسة الاعدادية العسكرية في دمشق، ثم انتقل إلى المدرسة الحربية في اسطنبول ثم مدرسة أركان الحرب العثمانية والتي تخرج منها برتبة "رئيس"، وشارك كقائد عسكري في حرب البلقان، وفي الحرب العالمية الأولى وأسر خلالها وأرسل إلى سيبيريا حيث بقي هناك لمدة تسعة أشهر وتمكن من الهرب والعودة إلى الدولة العثمانية في مطلع عام 1916، وشارك برتبة عقيد في حرب القفقاس، وحرب غزة، وتولى قيادة الفرقة السابعة حتى تم انسحاب القوات العثمانية من سورية. وتولى في عهد الملك فيصل الأول قيادة فيلق حلب برتبة زعيم، وتولى رئاسة ديوان إلشورى الحربي الثاني، وعين معتمداً لحكومة الملك فيصل الأول لدى مصر في أوائل عام 1920، ومن ثم مديراً عاماً للشؤون الحربية في أواخر العام نفسه في حكومة " حقي العظم " واستمر في هذا المنصب حتّى عام 1921، في العام 1922 عين مديراً للمعارف في حكومة دمشق، ووزيراً للمعارف في حكومة " الداماد أحمد نامي " الثانية عام 1926، ثم وزيراً للزراعة والتجارة في نفس الحكومة.

عام 1919 تزوج البخاري فتاة من الأسر الدمشقية العريقة وهي "رفيقة بنت ممدوح بك العظم" والتي أضحت رائدة من رواد حركة "تحرير المرأة" التي نمت بشدة في سوريا، وأصبحت أكثر جرأة على المواجهة، خاصة بعد أن تولت قيادتها في دمشق السيدة رفيقة زوجة السيد نصوحي البخاري، بمشاركة زوجات عدد من السياسيين والبرلمانيين الآخرين متخذات من "جمعية نقطة الحليب" واجهة جذابة لحركتهن.

عام 1939 تم تكليفه من قبل الرئيس الأتاسي بتشكيل الحكومة، وقد أتى هذا التكليف على أثر مماطلة فرنسا في تنفيذ بنود معاهدة 1936، ويقين الرئيس الأتاسي بحاجته لرئيس وزارة حيادي من خارج صفوف الكتلة الوطنية وقد تعرض هاشم الأتاسي للضغط، بعد تكليف نصوح البخاري بتشكيل الوزارة من قبل بعض أصدقائه إذ طالب وفد من نواب الكتلة الوطنية هاشم الأتاسي بالالتزام بقرارات الكتلة الوطنية والاستمرار بالتصعيد ضد الفرنسيين. ولكن الأتاسي أصدر مرسوماً بتشكيل وزارة البخاري في 8 نيسان 1939 أي بعد 20 يوماً من استقالة حكومة لطفي الحفار، كان معظم وزرائها من المستقلين، ولم تكن وزارة ذات طابع حزبي، ومع ذلك لم تستطع حل الأزمة بل استمرت الأزمة السياسية في سورية، وقد انتقد عبد الرحمن الكيالي الوزارة الجديدة في كلمته في المجلس النيابي يوم 21 نيسان 1939، وانتقد بشدة أيضاً موقف الأتاسي وقال: "كان القصر، على ما نعلم معقل الوطنية، وكانت سلطته تمثل الخير والغيرة والاحترام والآن ويا للأسف غدا معقل الرجعية، تمرح فيه ذئاب الاستعمار.. "ونتيجة لهذه الانتقادات الشديدة التي تعرّض لها الأتاسي ورئيس وزرائه من قبل المعارضين داخل المجلس النيابي وخارجه ولا سيما بعد تهرب الوزارة من إلقاء بيانها وعدم حصول رئيس الوزراء على وعد من الفرنسيين بالتصديق على المعاهدة أصدر هاشم الأتاسي قراراً، في 19 نيسان 1939، بتأجيل اجتماع المجلس النيابي لمدة شهر، اعتباراً من 20 نيسان الى 20 أيار 1939 وبالتالي تأجيل عرض البيان الوزاري.

في 12 أيار من العام نفسه أصدر المفوض السامي بياناً قصيراً أذيع من دار الإذاعة حدد فيه أسس السياسة الجديدة التي سيسير عليها، وتقوم على إدخال بعض التعديلات على مسودة معاهدة عام 1936، التي ستبرم بعد الدخول في مفاوضات بين الجانبين لعقد معاهدة جديدة، واجتمع مع الأتاسي وجرت بينهما مشاورات، تمسّكَ الأتاسي فيها بالقواعد التي نصت عليها معاهدة عام 1936، ولكنّ المفوض السامي كان يماطل، متعللاً بالحالة الدولية التي تنذر بحدوث حرب في أوربا ولذلك فأن فرنسا لا تستطيع إلا أن تأخذ ذلك بعين الاعتبار، وتضع الخطط على أساسها، ولهذا فإنّها لا تستطيع التقيد بالكثير من شروط المعاهدة. وانتهى الاجتماع دون التوصل الى الاتفاق بين الجانبين، بالتوازي استمرت فرنسا في تشجيع النعرات الانفصالية في سورية،ولاسيّما في جبل الدروز الذي عاد سكانه الى رفع علمهم الخاص، فاجتمع رئيس الوزراء السوري مع المفوض السامي للتباحث معه بشأن السياسة الفرنسية، ولم يتوصل الى نتيجة بسبب إصرار الحكومة السورية على رفض تصريح" بيو" الجديد الذي يدعو إلى عقد معاهدة جديدة لمواصلة التعاون بين الطرفين أو أن تستقيل الوزارة، ونتيجة لتفاقم الحالة، قدم نصوحي البخاري استقالته في 15 أيار 1939 إلى رئيس الجمهورية، بسبب إصرار الفرنسيين على إعادة الحكم الذاتي إلى منطقتي العلويين والدروز، وذلك قبل أن تقدم الوزارة منهاجها إلى المجلس النيابي السوري. وقد طلب هاشم الأتاسي من الوزارة المستقيلة أن تستمر في عملها وكالة حتى تُؤَلفَ وزارة جديدة. وعمد الرئيس الأتاسي إلى التشاور مع "عطا الأيوبي " لتشكيل الحكومة،وكان لحوادث الجزيرة واللاذقية دورٌ كبيرٌ في فشل عطا الأيوبي في تشكيل الوزارة، حيث هاجم فريق من الانفصاليين دوائر الدولة، وأنزلوا الأعلام السورية عنها، ورفعوا الأعلام الخاصة بالجزيرة، وطردوا الموظفين الحكوميين من المنطقة. ونتيجة لتعقد الحالة السياسية، ومماطلة الفرنسيين وفشل هاشم الأتاسي في تأليف وزارة جديدة أخذ يفكر في تقديم استقالته من رئاسة الجمهورية، تعبيراً عن غضبه على موقف الفرنسيين، وبدأت الأحاديث تظهر من جديد عن قيام النظام الملكي في سورية بعد فشل النظام البرلماني الجمهوري، وعندما سئل رئيس الوزراء المستقيل عن رأيه في استقالة هاشم الأتاسي المحتملة قال: " أنا اعتقد أنّ الحالة الحاضرة على خطورتها لا توجب على رئيس الجمهورية الاستقالة من منصبه مهما كانت الظروف، فالاستشارات في سبيل تشكيل وزارة جديدة مستمرة بين الرئيس وساسة البلاد.. وأما ما يتعلق باستقالة رئيس الجمهورية، ومعناها نسف الدور الوطني الدستوري الحالي برمته، فهو ليس من المصلحة الوطنية في شيء".

عام 1943 فاز البخاري في الانتخابات النيابية عن دمشق وفي 19 آب من العام نفسه تم تعيينه وزيراً للمعارف والدفاع الوطني في حكومة "سعد اللّه الجابري"، وعلى الرغم من خلفيته العسكرية إلا أن البخاري كان فاعلاً في الحراك العلمي والثقافي في دمشق،وداعماً للحركة النسوية التي تزعمتها زوجته، فقد كان داعماً للنشاط الاجتماعي والثقافي للرابطة العربية وغيرها من الجمعيات والمنتديات التي كانت دمشق تذخر بها، وفي صيف عام 1944 شارك في المهرجان الألفي للفيلسوف العربي أبي العلاء المعري بصفته وزيراً للمعارف، بحضور رئيس الجمهورية ومشاركة: طه حسين، محمد كرد علي، مهدي الجواهري، بدوي الجبل..... وقد افتتح البخاري المهرجان بكلمة بليغة كان مطلعها "ولو أني جبتُ الخُلد فرداً لما أجبت بالخلد انفراداً فلا هطلت عليّ ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلاد ".

مع اتساع النشاط الحزبي في الحياة السياسية في سوريا بعد الاستقلال وتراجع دور المستقلين، اعتزل دولة الرئيس البخاري السياسة، وتوفي في دمشق عام 1961 ودفن في مقبرة العائلة.

السيد نصوحي البخاري ومخامة الرئيس شكري القوتلي

عـــن مجـــزرة الحـــولة

■ أحمد العمري

2012/05/26 أنا الطفل الذي حمل الرقم خمسين في الخبر الذي تتناقلونه منذ ليلة أمس.

ليس لدي الكثير لأقوله لكم... بل لدي شيء واحد. لكن نسيت ما هو.. حدث كل شيء بسرعة. بعدما خف القصف الذي كان بدء منذ الصباح. كسروا الباب. دخلوا وأخذونا، جمعونا بسرعة، فصلونا عن أمي، كنت أنا وأخوتي الثلاثة، وكانت شقيقي في حضن أمي، كانت مريضة منذ يومين. انتزعوها بقوة. صرخت أمي. سمعت بعدها الشبيح يسبها لأمي ويضربها. كان آخر ما سمعته منها هو صراخها. كانت تقول.. أولادي. لم يكن أبي موجودا معها. لم يكن موجودا في أي مكان نعرفه. أخذوه قبل أسبوع من على الحاجز. ولم نره من يومها. لم نسمع عنه شيئا. ليس لدي الكثير لأقوله لكم عمّا حدث أمس.. فقط شيء واحد. القوا بنا في سيارة كبيرة فيها أطفال في مثل سني. كانوا يبكون. كان بعضهم رضع. وكان صراخهم عاليا جدا. كان السائق يسبهم ويكفر. وقفت السيارة أمام منزل في طرف القرية. عند الساحة التي كنا نلعب "الطابة" فيها". فتح الباب وقال لنا أنزلوا وهو يسبنا أيضا. كان كل من ينزل منا يتلقى ضربة. وكان يقول مسبات كبيرة. بعضها أعرفها وكانت أمي تحذرني من أن أقولها. وبعضها لم أفهمها. لكن فهمت إنها مسبات "كبار". ليس لدي الكثير لأقوله لكم.. ضربني الشبيح على ظهري عندما نزلت من السيارة. كنت أحمل شقيقتي. وقعت أرضا ووقعت شقيقتي. ضحك الشبيح وقال لي أني سني غبي. عندما دخلنا المنزل، كان هناك الكثير من الأطفال. معظمهم كان مقيد اليدين. كان بعضهم يبكي. لكن ليس كثيرا. الرضع فقط كانوا يبكون. كان هناك شبيحة آخرون. قال واحد منهم أن الحبال خلصت. رد عليه الآخر وقال "هلق نذبح كم واحد منهم ونستعمل مصاريهم". ضحكوا جميعا. وبكت أختي بصوت عال. تركونا قليلا. قالت لي أختي ماذا سيفعلون بنا. كنت أعرف. لكني قلت لها لا أعرف. أظن أنها كانت تعرف أيضا. بكت وقال أريد أمي. بكى أخي الآخر وقال أنه يريد أبي. فكرت أننا ربما سنراه بعد قليل. ليس لدي الكثير لأقوله لكم. كل شيء حدث بسرعة. الغرفة مزدحمة والبعض يبكي ويريد أمه. دخل شبيح جديد للغرفة. كانت رائحته نتنة أكثر من الباقين. كبر بالكلام وسبنا وكفر أيضا. كنت أعرفه. كان ابنه معي في المدرسة. وكنا نلعب الطابة أحيانا في الساحة المجاورة. كان يحمل سكينا في حزامه. أخرجها من مكانها. تعالى صوت البكاء. و تعالى ضحك الشبيحة. قال هو، أنه لم يشتم رائحة الدم منذ ثلاثة أيام. وأنه اشتاق له. رد عليه الآخر وهو يضحك، "امبارح" ذبحنا الثلاثة الذين خذناهم من على الحاجز، نسيت؟رد عليه:نعم، امبارح يبدو بعيدا، وكفر أيضا.. تقدم خطوة والسكين بيده، تراجع الجميع وتعالى الصراخ، قال وهو يضحك، بمن سنبدأ يا حلوين ؟ من سيكون الفطيسة الأولى؟... توقعت أن يصرخ الجميع. أن يزيد البكاء. لكن العكس حدث. عم الهدوء. كما لو كان الكل يريد "أن يخلص". تقدم الشبيح ذو الرائحة النتنة من فتاة شقراء الظفيرة. كانت ترتعد. أمسكها من شعرها. قال لها: كنت أريد أن "... "-مسبة كبيرة، ولكن ذبحك ليس أقل متعة. كانت ترتعد، أخذت تقول "اللّه يخليك عمو".. "اللّه يخليلك ولادك".. أما هو فقد قال لها: اللّه يخليني ؟ بدي أذبحك وأذبحه كمان... وضع السكين على رقبتها، وبسرعة جزها، كانت لم تكمل بعد جملتها، كانت تقول "اللّه يخل... " ثم إذا به يرفع رأسها بين يديه... شوح به أمام الجميع. حمله من الظفيرة وهو يقطر دما. كان جسدها على الأرض، والدماء تتدفق منه علينا جميعا. على صوت البكاء. كانت هناك بنت صارت تبكي وتتشاهد بصوت عال. أمسكها أيضا وقال لها: "وهي مشان الشهادة" وضربها سريعا في حنجرتها.. ثم أخرج حنجرتها ورماها علينا.. لكن البنت ذكرتنا بالشهادة، فصرنا نرددها جميعا. تذكرنا ما نسمعه دوما من أن من يقول الشهادة قبل أن يموت يكون في الجنة.. فأخذنا نقولها.. أنزعج هو وصار يسرع في الذبح.. اختلط البكاء بصوت لاحظته أنه يصدر عنهم وهم يرتعشون بعد الذبح، بأصوات التشهد، بمسبات الكفر وضحكات الشبيحة..

رأيت سامر ابن خالي بين يدي الشبيح. لم أكن قد انتبهت لوجوده قبلها. كان سامر ساكنا على غير عادته، لكن عندما ذبحه، انتفض فجأة وأخذ يركض، كان رأسه متدليا تقريبا، لكنه ركض باتجاهي. كما لو كان يريد أن أنقذه. كان الدم يتدفق من رقبته مثل البربيش، وجدت الدم يغطي وجهي، تراجعت حتى صار الحائط خلفي، أظنني كنت في الزاوية، لم أعد أرى شيئا لأن الدم صار يغطي عيني، لم أزله. فضلت أن لا أرى...

ليس لدي الكثير لأقوله لكم، لكني تذكرتكم جميعا في تلك اللحظة.. تذكرته ما قاله لي ابن عمتي عبد الرحمن، الذي التحق بالجيش الحر قبل شهر، كان عبد الرحمن يدرس في الجامعة، وكان لديه حاسوب في غرفته، وكان يسمح لي أحيانا أن العب ببعض الألعاب على حاسوبه، يوما ما أراني "موقعا" قال أنكم تدخلونه، نسيت اسمه، وقال أنكم، عندما يستشهد واحد منا، فأنكم تكتبون عنه في هذا الموقع.. سألته يومها إن كنتم مرضى أو معوقين أو على كرسي عجلة، فضحك وقال لي "تقريبا"... تذكرتكم... ليس لدي الكثير لأقوله لكم، ربما كلمة واحدة فقط، كانت على لساني ونسيتها.. بعدها لم أعد أرى. كنت في الزاوية واسمع فقط، كنت واثقا من أن شقيقتي ذبحت. سمعت صوتها وهي تنادي أمي. وتذكرت أمي. سمعت صوت الشبيح يقول أنه يحتاج إلى سكين آخر لأن هذا السكين لم يعد حادا.. قال له الآخر: أحسن !.. يتألموا أكثر عند الذبح.. ... لا أذكر الكثير بعدها.. نفس الأصوات بقيت تتكرر.. صرت أميز صوت الدم وهو يتدفق.. كلما قل صوت البكاء كنت أدرك أن الدور قد أتى علي.. فجأة أدركت أنه قد اقترب مني، كانت رائحته لا تزال واضحة رغم رائحة الدم.. أمسك برقبتي.. تذكرت ما أريد أن أقوله لكم، في تلك اللحظة تذكرت. أريد أن أقول لكم أني أبصق عليكم جميعا. جميعا. كلكم. أنتم يا من تقراون هذه الكلمات. منذ سنة نذبح وانتم لم تملكوا أن تفعلوا شيئا لوقف الذبح. أبصق عليكم وعلى كاتب هذه المقالة أيضا. لعله لم يجد شيئا آخرا يفعله. أو شيئا أفضل يكتبه.. أبصق عليكم جميعاً. ولا أعتذر من أي أحد.. وضع الشبيح القذر السكين على رقبتي.. تشاهدت... وبصقت عليكم مرة أخرى.

عمل للفنانة هبا العقاد | بعنوان: ليلة في الحولة

لينا موللا

أن نربح حرباً بمواجهة نظام قاتل وكاذب فيكون بالعمل على الأرض بصمت وذكاء، لا عبر التصريحات النارية، إنه زمن العمل الخلاق لا اعتلاء المنابر.

رشا عرابي

في دمشق تدور معارك طاحنة وفرسان يصرخون، صوت الأسلحة، حرارة الحرب و الدوار الهائل الذي يسري في الداخل لا يبرر شتات الصباح و الشعر الأشعث، ولا عبث الكلام والوجه المتعب، وأنا أطلب النصر... أطلب النهاية..

علي الأتاسي

غسان التويني ستظل تكتب معنا، بغيابك كما بحضورك، مقالتك الأولى والأخيرة: "حرية لبنان من حرية سورية"

سمر يزبك

ماذا أنتم فاعلون؟ بعد كل المجازر الطائفية التي حصلت، هل حصل وهجمت قرية "سنّية" على قرية "علوية"؟ أنتم يا من تسكنون بجوار قرى المجازر وتتفرجون، لم لا تصرخون صرخة عدل؟ لم تتفرجون؟ تتهمون "السنة" بالطائفية، تقتلونهم قبل أن يحولهم النظام إلى طائفيين، ماذا أنتم فاعلون؟ وهم يموتون ويتفرجون على موتهم؟ تخيلوا أن أطفالكم هم من يُقتلون !! ويلي منكم، وويلي عليكم، ويلي للعار في التاريخ القادم!

نادر قاسم

صعد طفل سوري على عتبة بيته، هكذا تخيل نفسه كأنه فوق سطح العالم وبعد أن نظر للسماء نظرة عتب وحب قال صباح الخير...

عبد الحميد برو

سوريا ستولد من رحم الحب.....

ناصيف ناصيف

في الحفة يحصل الآن بيوت قرى علوية تفتح للناس النازحين وقرى أخرى ترسل أبنائها للاقتتال
الناس أجناس والله واحد

توفيق دنيا

منذ تسع وأربعين عاما لجأ أصل هذا النظام لتسليح بعض السفلة تحت مسمى الحرس القومي ولم تكن تلك التسمية تمت للحرس أو للقومية بصله بل كانت عبارة عن غطاء لتجنيد سفلة سابقين أنجبوا سفلة حديثين. فكما يقال كلب أبن كلب. وما شبيحة اليوم سوى أبناء شبيحة الماضي - ممن حاولوا أن يزرعوا الرعب في قلوب الشعب - وجاء المقبور وطورهم وسلحهم وسماهم سرايا الدفاع فاقترفوا مجازر حماه وهدموها. وجاء اليوم فرخ البط وسماهم الكتائب أو اللجان الشعبية. لقد طوروا علم القتل والجريمة والفساد وأدواته. هذا ما استطاعوا تطويره في سوريا.

فارس البحرة

إسقاط النظام بات هدفاً بذاته مستقلاً عن إقامة مجتمع ديمقراطي، إسقاط النظام هدف وطني و وجودي و ليس بالضرورة ديمقراطي

محي الدين اللاذقاني

كانت إسرائيل تبحث منذ زمن طويل عمن ينظف سمعتها ويجعل إجرامها يبدو اقل من جيرانها وأخيراً جاءها من يجعل حربها على الشعب الفلسطيني الأعزل تبدو شبه مقبولة دوليا مقارنة بما يجري في سوريا

شيرين الحايك

و نرجع لنكرر و نعيد، لا شيء على هذه الأرض يستحق الحياة سوى رغبتنا بأن يكون هناك شيء يستحق الحياة..

تانيا برغلي

لو عرفتم ماذا يحصل في دمشق لتمنيتكم كلكم أن تكونوا دمشقيين، تقطعون الشوارع وتهدمون عرش كسرى

عمر كشكول

عندما تحرر دمشق أتمنى إضافة باب جديد على أبواب دمشق السبعة وتسميته باب الحرية

سالي حمارنة

دمشق الحياة...... عشقها الموت حتى "مات فيها".....

عروة نيربية

كل طفل سوري يموت يقتل من قاتله جزءا. القاتل ينتحر بالقتل. الأطفال الشهداء يلتفون حول رقبة قاتلهم. قاتل الأطفال مصاص دماء جشع تعميه شهيته إلى الدم فلا يلحظ انبلاج الفجر، مثل برغشة تمص الدم ولا تتوقف حتى تنفجر.

زياد ماجد

في سوريا اليوم مواطنٌ أبوه شهيد وأخته شهيدة وابنه شهيد وعمّته شهيدة وابن خاله شهيد. وفي سوريا اليوم رئيسٌ قاتِل أبوه قاتِل وأخوه قاتِل وصهره قاتِل وابن عمّته قاتِل وخاله قاتِل وابن خاله قاتِل. في الأمر ما يتخطى الفوارق في أواصر القربى. ثمّة تعريف جديد لصِلات الدم...

هالة جديد

خفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد... اليوم.. لو كان أبو العلاء المعري حياً لما تأفف من فقدانه لبصره ولا من امتناعه عن أكل اللحوم...

إياد عماشة

تتوارد أخبار دمشق من قبل الأصدقاء.. دمشق تحت النار.. !! دمشق فوق الروح.

ثائر ديب

يأتي الخطر أبناء الطوائف والمذاهب، خاصةً الأقليات، حين ينظرون إلى أنفسهم، خطأ، على أنهم طوائف ومذاهب لا على أنهم مواطنون، لهم ما لبقية أبناء بلدهم وعليهم ما عليهم. أكثر خوف هؤلاء، أذاً، نابع من داخلهم ومن خطأهم لا من الواقع أو الحقيقة

محمود محمود

في مثل هذا اليوم ارتاحت سوريا من أفظع طغاتها... مات الديكتاتور وبقيت سوريا لتثور بعدها على تركته العار.
فليمت جميع الطغاة ولتحيى الأوطان.

ارا صليبي

أنا بعرف جبال ومسافات التسامح اللي عمرتها النفس السورية على أعمدة جهات الأرض الأربعة

خالد السيد

بعمرو الفيس بوك ما حرر وطن يا خديجة هكذا قالت ستي

ميساء الشام

دمشق
هرمون يجري في دمي
لاتلوموني في حبها
فقلبي بفقدانها ينكوي

منى أتاسي

طيب انا سنية ومن حمص وما بدي بيد العلوية ... شو يعني ؟ بتقيمو علي الحد شو هاااااااااااااااا ... اصحو ياناايمين

هزار الحرك

هلق لو صارت هالثورة من 12 سنة شو كان صار؟

الملحمة

عروة المقداد

عوى الدم، صرخت رغبةُ القتل. تحت السقوف الواطئة.. في الأسرة الملطخة بعرق الأجساد.. على الحيطان المسنودة بدفء الأضلع.. كان يُسفك، يفور على سكين تمجُ الحياة. صل الأنين، ارتعد الخوف، تَرمّدت الوجوه وذابت مع براز الألم، وبول الصراخ. تفسخت أشلاء الروح، تعفنت ألوان العيون في المحجر.

هوى الصمت، أخاط الشفاه وحزَّ الاضلع وبذَّر الألم..

***

عيني إسفلت الطريق الحار، وجهي شفرة صدئة، تشطر الأمل فتموء الرغبة: أنا إله المقصلة، على دم يسيل، ووطني أشلاء متفسخة. جدران العزلة صومعتي والخوف نايي للقطيع.

***

ركضت، والخوف عريشة بأسلاك شائكة، وفي فمي صبار. عطشت، حفرت التراب بأسناني، لم أجد غير الحصى تمزق الحلق. زحفت ولم أجد غير خابية جدتي المنسية على أطرف الحكاية. رميت رأسي بفوهتها فاستفاقت سماء الشهداء، وهطلت أسماء من قتلوا في فجِّ الليل. وكان الضوء يبزغ من وجوههم فشربت.. شربت حتى بعثت أرواحهم في.

يدي منجل الأرواح، وأسناني أنياب لتمزيق الذاكرة. وبصطاري سيد المدى. سيد الجغرافيا. النطفة والرحم، البداية والنهاية.

***

من ثقب صغير خرجت. دون ملامح أو وجه. دون ذاكرة أو أعضاء. قيل لي أنت جلاد فكنت!

***

أنا الدم.. أنا تاريخ الحقد في السلالة.

***

فمي ملىء بالصراخ. وأنا أشاهد المجزرة... لكنني ابن صمت. لم أسمع صوتي. صوتي بئر في الظلال.

***

يا محلاها الحرية.

***

من سنين الوحشة العابقة برائحة الخوف ولد ذلك المسخ في أضلعنا ونما من حراشف أجسدنا. كان يشتهنا في الملامح! كان صنيعتنا، خطيئة أرواحنا.. رويداً رويداً كانت دماؤه تنزف حين أمعن في تقطيع أوردتنا وحز أعناقنا.. في النهاية خرَّ صريعاً في بركة الدم الهائلة، وابتلعه أكوام الجثث التي عرجت أرواحها إلى السماء.

جودت سعيد: مفهوم التغيير

■ ياسر مرزوق

كتابنا اليوم للفيلسوف المتصوف " جودت سعيد "، فمما لاشك فيه أن كل مفكر أو كاتب يسعى من خلال نظرياته وأفكاره، إلى تغيير الأطر الاجتماعية والفكرية في مجتمعه. ولكل مفكر تصوراتُه عن الواقع وأطروحاتُه الهادفة إلى تغييره. التغيير الحقيقي يبدأ من الأفكار، لأن الواقع، بشكل أو بآخر، إفراز لها. أجل، التغيير الحقيقي العميق يبدأ من الأفكار ومن تغيير منهجية التفكير. والبداية تكون بإعادة دراسة الأفكار الأساسية وصياغتها، ثم يرتسم في ذهن الإنسان من خلال الأفكار الجديدة، فهمٌ جديد للكون وللروابط التي تقوم بين الإنسان – الكون – اللّه – الآخر، وكاتبنا اليوم خير نموذج عن هؤلاء المفكرين.

المفكر الإسلامي جودت بن سعيد بن محمد من مواليد عام 1931م، في قرية بئر عجم في الجولان في محافظة القنيطرة بعد المدرسة الابتدائية في مدينة القنيطرة، تابع دراسته في الأزهر الشريف في القاهرة، حيث أتمّ الدراسة الثانوية، ثم حصل على شهادة الأزهر الجامعية في اللغة العربية، وتعرّف في مصر على المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي دخل سلك تدريس اللغة العربية في ثانويات دمشق، واعتقل مرارا بسبب نشاطه الفكري، وتمّ نقله من محافظة إلى أخرى في سورية، إلى أن مُنع من التدريس خلال الستينات، ثم استقرّ في القنيطرة في الجولان بعد حرب 1973م، وتابع طريقه الفكري حتى عُرف في العالم الإسلامي بداعية "اللاعنف"، انطلاقا من رؤيته أن "التوحيد مسألة سياسة اجتماعية وليست مسألة ميتافيزيقية إلهية"، استنادا إلى الآية الكريمة: "ألا نعبد إلا اللّه، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون اللّه "–آل عمران: 64، من مؤلفاته: " مذهب ابن آدم الأول، حتى يغيروا ما بأنفسهم، فقدان التوازن الاجتماعي، العمل قدرة وإرادة، الإنسان حين يكون كلاً وحين يكون عدلاً، اقرأ وربك الأكرم، كن كابن آدم، رياح التغيير ".

ويمكن أن نوجز السمات المميزة لفكر سعيد ومشروعه النهضوي بما يلي: " دعوة المسلمين إلى استرجاع ثقتهم بالعلم وبالسنن والقوانين الكونية والتاريخية، كشرط لازم للنهوض، التأكيد على رد المشكلات إلى الذات لا إلى القوى لخارجية التركيز على علم التاريخ.. والنظر في العواقب، الامتياز بنظرة شمولية للأحداث في العالم الإسلامي عامة "

أما عن كتابنا اليوم " مفهوم التغيير " فهو عبارة عن دروس عامة ألقاها المؤلف على الناس، في مسجد بئر عجم، في محاولة منه لتبسيط الأفكار، وتوسيع قاعدتها، وكسر احتكارها بين النخب وإتاحة الفرصة للحوار والمناقشة وفهم الآخر ويعرض الكتاب سوء الأوضاع العالمية، وإمكانية صنع البديل الأفضل، ويوضح فكرتي التوبة أو النقد الذاتي، والتواصل مع الأمة. ويتأمل في الواقع واللغة، ونشأتها وحفظها للتجارب، وتطورها، ومراحل تسمية الأشياء، وتحليل عملية النطق وعلاقة الحق بها، وأهمية القراءة والكتابة، وحرية الرأي، ومفهوم الدين، والحسن والقبح، والتقرب من الحقيقة بمعرفة العواقب، والحقيقتين المطلقة والنسبية، وكتابة التراث بالأرضية المعرفية. ويبحث في سياسة الإسلام بقراءة التاريخ، والتحرر من الخوف والنفاق والغدر، والعنف والكذب، وبيان خطة النبوة لبناء الثقة والرشد، وممارسة الحرية، والتخلص من السلاح، وفرض القانون والعمل بمنهج اللاعنف. ويبين أن الرشد شريعة اللّه، والعنف شريعة الطاغوت، ويقرر المساواة أمام القانون، ونصرة المستضعفين، وشروط مشروعية الثقة، وعدم العنف للإسلام، ونشر العلم يضمن سيادة الحق، ويشرح منهج التغيير في الإسلام وسبقه في بناء الرشد. ويوضح موقف الإسلام من مفهوم التغيير والتعددية، ونظام العلاقات في المجتمع الإسلامي، وتطور المفاهيم الإيمانية، ودور تسلط الكنيسة في ظهور الإلحاد، وخطر الجهل وأثره في مصير الأمم.

وتم تقسيم الكتاب إلى خمسة مجالس

المجلس الأول: تأملات في اللغة – نشأتها – تدوينها – علاقتها بالواقع

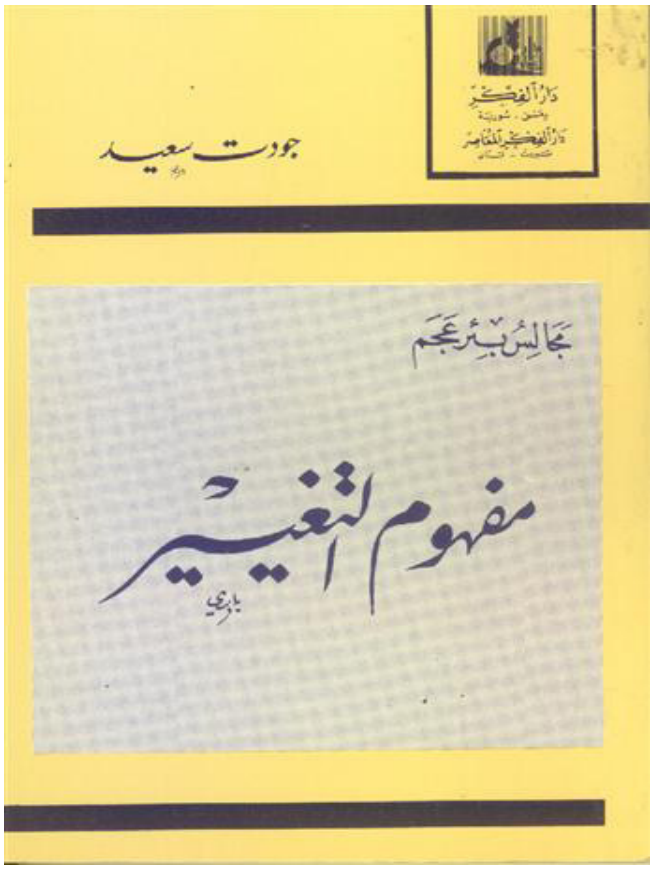

المجلس الثاني: سياسة الإسلام – الصدق – بناء الثقة – نبذ العنف – الرشد " يعيش بعض الناس منافقين، والإنسان يعيش منافقاً عندما يخاف أن يُقتل أو يُؤذى، لهذا حمى اللّه المختلفين من أن يؤذي بعضهم بعضاً، لكي لا يصيروا منافقين" صفحة / 78/.

المجلس الثالث: الرشد شريعة اللّه والغي شريعة الطاغوت. " من السهل أن نرى الآخرين خطائين، وأن نلوم الآخرين ونعتبرهم سبب مشكلاتنا، ودائما ما نتجنب لوم أنفسنا أو اتهامها بالخطأ أو التقصير، غير أن هذا منهج مخالف للمنهج القرآني "إن تبرئة الذات واتهام الآخرين ليس طريقاً قرآنياً، ولكن طريق القرآن هو أن ما أصابك من سيئة فمن نفسك، وطريق الرسول صلى اللّه عليه وسلم هو "من وجد خيراً فليحمد اللّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه" إن عندنا استعداداً لأن نلوم كل أحد ما عدا أنفسنا، بالرغم من أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم يقول لنا ألا نلزم إلا أنفسنا".

المجلس الرابع: القانون – تأسيسه – حمايته – الالتزام به

المجلس الخامس: الإسلام ومفهوم التغيير.

" فإن تجرأ أحدٌ واغتصب الحكمَ بالقوة فإننا نواجهه بكلمة الحق ونقول له: "إن ما فعلتَه غير جائز وغير صحيح"، ونتحمل مسؤولية هذه الكلمة التي ربما نُقتَل بسببها. [...] هذا الأسلوب في التغيير أقل خسائر من أسلوب العنف، ولن يستطيع حاكمٌ أن يقتل الآلاف من الناس لأنهم يقولون الحق. وفي المقابل، فقد حصد العنفُ مئات الآلوف من المسلمين في حروب لا طائل فيها ".

يفصل سعيد في مفهوم التغيير مبيِّناً التغيير الذي يحدثه اللّه في خلق النتائج، والتغيير الذي يقوم به البشر في تهيئة الأسباب، والتعامل معها، ويضرب المثل في خلق الإنسان، وزرع النبات، وفي مجال سلوك الإنسان يطبق هذه القاعدة بالتفصيل، موضحاً لآلية تغيير سلوك الإنسان حسب ما في نفسه، فتغيير ما بالنفس هو مهمة البشر. فالتغيير الوارد في القرآن، سنة عامة لكافة البشر، كما أنها سنة اجتماعية لا سنة فردية. « إن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » الرعد "11".

في الختام لا بد من الاشارة إلى حاجتنا جميعاً لفكر داعية اللاعنف "جودت سعيد " وإلى الابحار في عوالمه، وخير كتاب للدخول إلى عالم سعيد، هو كتابنا اليوم "مفهوم التغيير" والذي يعتبر تجربة رائدة وخطوة مهمة نحو تعميم الوعي والثقافة والعلم، وممارسة الانفتاح على الأمة، والتواصل مع الناس من خلال المسجد، فهو تسجيل لحوارات واقعية جَرَتْ بين المؤلف وبين مختلف شرائح الأمة، مما انعكس بساطةً في عبارته وشرحه للمفاهيم الكبيرة بأسلوب سهل ميسَّر كمحاولةٍ للإضاءة على منهجية التفكير والبحث والحوار.

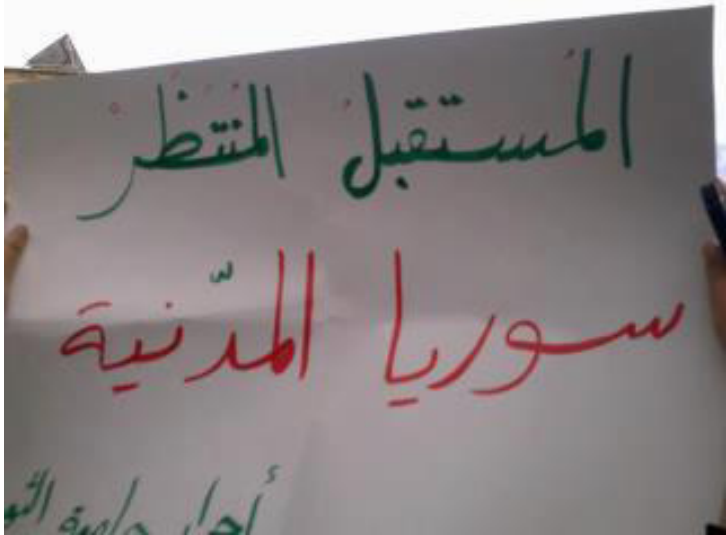

حوارات عن الموت مع باسل شحادة شهيداً

■ نبراس شحيد

الحوار الأخير

على عجالة، كتبت خاطرةً فاشلةً عن الموت من أجل أطفال الحولة المذبوحين. لكن شيئاً ما، آخر غير الفشل، كان يمنعني من إرسالها إلى النشر. لم أستطع أن أحدّد ملامح العائق هذا، فالوقت لم يكن في صالحي، ودم الشهداء لا يزال رطباً، على الأرض سائح، ولا بد من القيام بشيء ما، ولو تافه! وبينما كنت أحاول فهم ما يدور في داخلي من اضطراب غامض، خطر على بالي اسم باسل، مع أنني لا أرسل إليه عادةً خربشاتي قبل أن أنشرها. شيءٌ غريب كان يدفعني إلى أخذ رأيه في الخاطرة هذه. بالمصادفة، كان موجوداً على "السكايب" وقتها، وبالمصادفة، كان هذا قبل استشهاده بيوم واحد، وبالمصادفة، اكتشفتُ أنهُ من قام بتصوير الطفل الذي ذكرتُه في الخاطرة، ويحمل لافتة كُتب عليها: "ذبحوا اليوم أطفال الحولة وفي الأمس أطفال العدوية. هل يكون دوري هو القادم؟!". أكان اسم المصادفة هذه أيضاً حدس الموت؟! لا أعرف! كل ما أذكره من تلك الحالة الغريبة، أن باسل أحب كثيراً خاتمة الخاطرة الفاشلة، وفيها تتحاور الولادة مع الموت، لينتهي الحوار على النحو الآتي: "... أرحام النساء في الحولة، كما في بيت لحم، لن تتوقف يوماً عن الرغبة في الحياة. كان يا ما كان، حتى وإن لم تنتهِ الحكاية، ستولد حكاياتٌ جديدة" (السفير 2012/5/29). أحب باسل الخاتمة هذه، وأراد أن يرسمها "غرافيتي" على أحد جدران حمص. لذا، طلب مني أن أنشر المقال بأسرع وقت ممكن لأرسله إليه.

اليوم يا باسل نُشر المقال! أتعرف متى؟ بالمصادفة، في الصباح الذي تلا استشهادك! نُشر المقال اليوم يا باسل، لكنني لم أعد قادراً على إرساله إليك... آعذرني!

الخاتمة المبتورة

أرسل إليّ باسل أحد الأفلام التي صوّرها في حمص أيام عيد الميلاد، لكنه لم يرد أن يعرضه. أراد أن ندردش فقط. كان الفيلم رائعاً، لكن خاتمته كانت غريبة، لأن فيها نوعاً من البتر القاسي. يعرض الفيلم واقع المدينة أيام العيد، أما الخاتمة فشيءٌ آخر: باسل مع أصدقائه يحاولون عبور الشارع من أجل الذهاب إلى حي "الستين"! قبل عبور الشارع، يشرح له أحد أصدقائه الطريقة: "سنركض! سوف تغامر متكلاً على الله. وإن شاء الله، لن يصيبك مكروه، وإن شاء الله، سيُعمى على قلوب القناصة فلا يرونك، وإن شاء الله، سنستطيع أن ننتشلك إن قُتلت!". لم أفهم خاتمة العبور الغريبة، فشرح لي: "لا أعرف. شعرت أنها (الخاتمة) مهمة بالنسبة إليّ. هي في الحقيقة خارج سياق الفيلم كله. كان عبور الشارع تجربة في قمة الفظاعة. لم أستطع إلا أن أضعها في الفيلم وكفى!". هذه كانت خاتمة الفيلم التي لم يستطع باسل أن يقاوم سحرها، وهذه كانت خاتمة حكايته. أراد فقط أن يعبر الطريق! فقط! أراد فقط أن يكون في "الهناك"، فقتل لأن حكايته كانت محاولة اجتياز! واليوم، هو هناك على الضفة الأخرى، وأنا هنا أعيد خاتمة الفيلم الحزين المبتورة، ثم أعيدها وأعيد. أهي نفسها خاتمة الخاطرة الفاشلة التي أحببتها يا باسل؟! لا أعرف! وداعاً صديقي. الجميع يسلّم عليك هنا، حتى عظام الموتى تهدي إليك القبل.

في ذاكرة الأسماء

عندما أخبرني باسل أنه قرر العمل في حمص، قلت له: "سأضع مشاعري جانباً، لأسألك سؤالاً لا بد أن يسأله الصديق". "ما هو؟"، قال لي باهتمام، فأجبت: "إذا حصل لك مكروه، فهل تريد أن أقول لأحدٍ ما أمراً، كنت تتمنى أن تقوله له، لكنك لم تستطع". لم يجب باسل إلا بعد دقائق من الصمت: "لا!". لكنني في الحقيقة، لم أكن أتوقع الجواب هذا، فأعدت عليه السؤال، ليعيد لي الجواب نفسه، ويضيف: "لا نريد مناحات!"، وضحك. سألته: "باسل، هل تحب الموت؟"، فقال باستخفاف: "الموت مريح، خصوصاً للكسالى، وأنا أحب الكسل أحياناً!". أجبت: "لا أصدّقك"، فضحك وقال: "أرسل إليّ ما ستكتبه عن الموت"، وأضاف: "غداً صباحاً صلّ من أجلي، فالحياة فيها كثيرٌ من المفاجآت". في اليوم التالي، اتصل بي باسل ليقول: "كذبت عليك البارحة. يوجد أحدٌ أود لو أستطيع إخباره أمراً ما". "من هو؟"، سألته بشغف ممزوج بشيء لا أعرفه، ليجيب: "أود قول أمر ما لأحدهم، لكنه يجب عليّ عدم فعل ذلك!". "حسناً"، عقّبتُ لأضيف: "تستطيع أن تقوله لي، ولن أخبر أحداً". "لا لن أقول لك"، أجابني باسل. فوعدته قائلاً: "لا تقلق باسل، لن أخبر أحداً"، فأجاب على نحو غامض: "خلصت!". "تقصد الأزمة؟"، قلت محاولاً تلطيف الجو، فضحك ولم يجبني. هكذا بقي الاسم غريباً، ودُفنتَ أنتَ في حمص غريباً، وأحببتَ النهايات الغريبة، وبقيتْ لنا خاتمة الحكاية غامضة. نمْ إذاً بهدوء يا صديقي، واحلم لنا بوطن تعمّد من غربتك، ومن حكاياتك التي لم تعرف النهايات، فنحن هنا لم نعد قادرين على النوم. وداعاً باسل! سلّم على الأهل هناك.

نشرت أيضاً في النهار 6 / 6 / 2012

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (12549)

دمشق: 304
ريف دمشق: 1181
حمص: 4864
حلب: 443
حماه: 1616
اللاذقية: 263
طرطوس: 34
درعا: 1257
دير الزور: 452
الحسكة: 81
القنيطرة: 21
الرقة: 51
ادلب: 1973
السويداء: 8

966 عدد العسكريين
11583 عدد المدنيين
548 عدد الإناث
309 عدد الأطفال الإناث
858 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 9 / 6 / 2012
http://vdc-sy.or